الفصل الرابع

الصحافة الصهيونية والقضية الفلسطينية

obeikandl.com

obeikandl.com

الصحافة الصهيونية
والقضيـــة الفـلسطينـيـة

يعـد تتـبع وقيـاس اتجـاهـات الصـحـف الصهـيـونيـة إزاء القـضيـة الفلسطينية معياراً أساسيّاً لتحديد حجم الدور الدعائى والسياسى الذى قـامت به الصحـافـة الصهـيـونيـة فى مـصـر فى نقل فكرة الوطن القـومى اليهـودى من مجـرد حلم يسيطر على مخيلة جماهيـر اليهود فى مـصـر والمشرق العربى والعـالم إلى حقيقة مادة مجسدة فى كيان سياسى معترف به دولياً هـو دولة إسـرائيل، وليس من اليـسـيـر اسـتـخـلاص اتجـاهات الصحف الصهيونية واليهودية فى مصر لمجرد انتمائها للحركة الصهيونية واعـتناقـهـا الفكر الصـهـيـونى بل لابد من تتـبع ورصـد جـزئيـات الأدوار المختلفة التى قامت بها تلك الصحف لخدمة الحركة الصهيونية.

ولقـد تباينت الأدوار وتعـددت المسئوليات الدعائية واختلفت اتجـاهات بعض هذه الصحـف ومـواقفـهـا من أطراف الصـراع ولكنهـا اتفقت جـمـيـعـاً على خدمة الهدف الاستراتيجى بكافة الأساليب.

وكان اختلافها وتباينها فى كثير من المراحل لصالح الحركة الصهيونية أكثر مما لو كـانت متطابقة فى النغمة والمضمون، ذلك التطابق المحدود العاجز عن إقناع العقول المتنوعة التى تخاطبها وتتوجه إليها.

فقـد عـملت الصحـافة الصهـيـونيـة كفـريق أهدافـه مـوحـدة وواضـحـة وأساليبه متنوعة ومختلفة. وتمكنت بهذه السياسة التى لبست عدة أقنعة عـبـر المراحل المختلفة التى استـغـرقـهـا بناء الوطن القـومى اليهـودى فى فلسطين تمكنت من الإسـهـام بنصيب وافـر فى بناء الدولة اليهـودية على

أرض الوطن الفلسطينى المحتل ورغم الإرادة العربية مجتمعة.

وسيتضح لنا تفاصيل المهام الدعائية التى أنجزتها الصحف الصهيونية لتحقيق أهدافها فى مصر من خلال استقرائنا لموقف الصحف التى تمثل الاتجاهات المختلفة للحركة الصهيونية وموقف الطائفة الإسرائيلية فى مصر من القضية الفلسطينية ومشكلة الوطن القومى اليهودى.

وسوف نراعى اعتبارين رئيسيين فى اختيارنا للصحف اليهودية والصهيونية التى سنخضعها للتحليل والقياس.

الاعتبار الأول: يتعلق بنوع الجمهور الذى كانت تخاطبه هذه الصحف، ويتحدد ذلك من خلال اللغة التى كانت تصدر بها تلك الصحف، فالصحف اليهودية التى كانت تصدر باللغة العربية كانت توجه فى الأساس إلى الرأى العام المصرى بما فيهم اليهود المصريين الذين كانوا يتحدثون اللغة العربية.

أما الصحف التى كانت تصدر باللغة الفرنسية فقد كانت تستهد فى الأصل النخبة اليهودية الناطقة بالفرنسية والشريحة العليا من المجتمع المصرى التى كانت تتكون من كبار رجال الدولة والجاليات الأجنبية والأرستقراطية المصرية.

أما الاعتبار الثانى: فهو يتعلق بالانتماء المحدد لهذه الصحف داخل الإطار الصهيونى العام. وهنا سوف نجد صحفا ناطقة باسم المنظمة الصهيونية العالمية وقد وقع اختيارنا على المجلة الصهيونية التى أصدرها ليون كاسترو ١٩١٨ كلسان حال لمنظمة الصهيونية.

وهناك صحيفة الصوت اليهودى التى أصدرها حزب التصحيحيين فى مصر ١٩٣١ وكانت تمثل الجناح المتطرف فى الحركة الصهيونية.

ومما يجدر ذكره أن هاتين الصحيفتين ناطقتان بالفرنسية كذلك

هناك صحيفة إسرائيل التى بدأت تصدر فى أبريل ١٩٢٠ واستمرت حتى ١٩٤٠ وحملت لواء الدفاع عن الدعوة الصهيونية فى مصر دون الالتزام المباشر بسياسة المنظمة الصهيونية العالمية وكانت تصدر باللغات الثلاثة العربية والعبرية والفرنسية ولكننا سوف نقتصر على الطبعة العربية.

ومن أبرز الصحف اليهودية الناطقة بالعربية صحيفة «الاتحاد الإسرائيلى» التى كانت تمثل جمعية القرائين الإسرائيلية بالقاهرة، وقد صدرت ١٩٢٤ واستمرت حتى بداية ١٩٢٩ .

أما الصحيفة الأخيرة التى وقع عليها اختيارنا فهى صحيفة «الشمس» التى أصدرها سعد يعقوب المالكى ١٩٣٤ بعد توقف صحيفة إسرائيل. وتتميز هذه الصحيفة عن صحيفة إسرائيل بأنها كانت دائماً تحرص على أن تبدو بعيدة عن الحركة الصهيونية أو الدعاية للوطن القومى بل إن هدفها هو «خدمة الوطن المصرى العزيز وخدمة المصالح الطائفية خدمة بريئة عن الهوى»(١).

وقد تجنبت هذه الصحيفة الإشارة إلى علاقتها بالحركة الصهيونية بينما كانت فى الواقع تخدم المخطط الصهيونى بتفان وإخلاص واستمرارية لا تقل عن صحيفة إسرائيل، ولم يكن هدفها قاصراً على التأثير على الرأى العام اليهودى فى مصر بل كانت تهدف إلى استقطاب الرأى العام المصرى لصالح الصهيونية من خلال مخطط ذكى وغير مباشر، وكانت دائماً تردد اعتزازها بانتمائها المصرى.

ولقد بدأت القضية الفلسطينية تطرح نفسها على مسرح الأحداث بعد صدور وعد بلفور نوفمبر ١٩١٧ ولكن البداية الفعلية لإنشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين يؤرخ لها ببداية إعلان الانتداب البريطانى على فلسطين أى يوليو ١٩٢٢ ولقد التقت على التربة الفلسطينية ثلاث قوى رئيسية تفاعلت

(١) الشمس ١٩٣٤/١٠/٥.

فيما بينها وخلقت بصراعاتها القضية الفلسطينية تلك القوى هى الاستعمار البريطانى والحركة الصهيونية والحركة الوطنية الفلسطينية.

هذا وقد شهدت العشرينيات صدور وعد بلفور فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ ثم إدماجه فى صك الانتداب البريطانى لفلسطين فى ٢٤ يوليو ١٩٢٢، ونص صك الانتداب على أن يكون غايته «وضع البلاد فى أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومى اليهودى بحسب ما جاء بيانه فى ديباجة هذا الصك»[١].

ونجحت بريطانيا خلال العشرينيات أن تضع بدايات تأسيس الوطن القومى اليهودى التى تبلورت فى مظهرين هامين:

أولهما: تشجيع الهجرة اليهودية بدون قيود. وقد بلغ عدد اليهود المهاجرين إلى فلسطين فى السنوات ١٩٢٠ ـ ١٩٢٩ حوالى مائة ألف مهاجر وذلك على الرغم من حتجاجات العرب المتواصلة ونقضاً لتوصيات لجان التحقيق البريطانية المختلفة التى أشارت إلى أن الهجرة من الأسباب الأساسية للاضطرابات فى فسطين.

ثانيهما: تمكين الحركة الصهيونية من الاستيلاء على أجود الأراضى العربية فى فلسطين وبلغت مساحة الملكيات اليهودية ١٩٢٧ ـ ١٩٠٣ آلاف دونم بعد أن كانت ٥٩ ألف دونم سنة ١٩٢٢ وكان استيلاء الصهيونيين على الأراضى الفلسطينية يتم بمساعدة سلطات الانتداب، وقد كان يتخذ طابعاً مأساوياً: إذ كانت تستخدم الحراب المسلحة فى إخراج المزارعين العرب من أراضيهم كما حدث فى قضية وادى الحوارث العفولة[٢].

وشهدت هذه الفترة افتتاح الجامعة العبرية ١٩٢٥ باعتبارها إحدى

(١) أحمد طرين ـ قضية فلسطين ١٨٩٧ ـ ١٩٤٨ ـ الجزء الأول ـ معهد الدراسات العربية القاهرة ١٩٦٨ ص ١٦٨، ١٦٩.

(٢) انظر عواطف عبدالرحمن ـ مصدر سابق ص. ب «المقدمة».

الركائز الفكرية والثقافية للوطن القومى اليهودى فى فلسطين وتأسيس القوة العسكرية الصهيونية التى عرفت بالهاجاناة. كما شهدت إقامة صناعات يهودية فى فلسطين بتشجيع السلطات البريطانية التى سهلت للصهيونية الحصول على الامتيازات الهامة مثل مشروع روتنبرج ومشروع استثمار البحر الميت.

أما ردود الفعل العربية فى تلك المرحلة فإننا نستطيع أن نقول إن قضية مقاومة الحركة الصهيونية كانت محوراً لكل الأحداث التى وقعت فى تلك الفترة.

فمنذ سنة ١٩١٩ أخذ النضال الفلسطينى يزداد تنوعاً وشدة وعنفاً: فمن الهجمات على المستعمرات والأحياء الصهيونية إلى المؤتمرات إلى الانتفاضات إلى الوفود والعرائض والمسيرات والاحتجاجات، وكانت الحركة الوطنية الفلسطينية طوال العشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات تدور حول ثلاثة محاور أساسية:

أولاً: وقف الهجرة الصهيونية.

ثانياً: وقف بيع الأراضى.

ثالثاً: مقاومة قيام دولة صهيونية فى فلسطين.

ولقد تصاعد المد الوطنى الفلسطينى طوال تلك المرحلة وبلغ ذروته فى أربعة أحداث هامة هى البراق ١٩٢٩، وانتفاضة ١٩٣٣ ثم انتفاضة القسام ١٩٣٥ وأخيراً الثورة الفلسطينية الكبرى فى ١٩٣٦ .

وقد شهدت الثلاثينيات تكريس السياسة البريطانية الموالية للوطن القومى اليهودى. فقد واصلت بريطانيا ما بدأته فى العشرينيات فيما يتعلق بسياسة الهجرة وتمليك الأراضى العربية لليهود.

كما أن صعود النازية فى تلك الفترة خلق ظروفاً أكثر ملاءمة لهجرة يهود ألمانيا إلى فلسطين وهكذا بدأت أرقام المهاجرين تتصاعد ابتداء من ١٩٣١ حتى بلغ اليهود سنة ١٩٣٦ حوالى ٤٠٠ ألف نسمة بعد أن كانوا لا يزيدون عن ٥٠ ألفاً عندما صدر وعد بلفور ١٩١٧.

وكان هناك إلى جانب ازدياد الهجرة وتوسع الاستيطان تسليح المستعمرات اليهودية إما عن طريق سلطات الانتداب أو عن طريق التهريب وفى مقابل هذا تجاهلت حكومة الانتداب مطالب الحركة الوطنية الفلسطينية على أساس أن ذلك يتعارض مع التزامات الحكومة البريطانية التى نص عليها صك الانتداب. وقد تمسكت الحكومة البريطانية بهذه السياسة حتى نهاية الثلاثينيات.

وحين كانت تضطر فى بعض الأحيان للتوقف بسبب مقاومة العرب أو ترغم على منح وعود لتحقيق بعض الإجراءات الدستورية المحدودة كانت لا تلبث أن تتراجع، كذلك رفضت الحكومة البريطانية جميع الاقتراحات والحلول المتعلقة التى تقدمت بها الحركة الوطنية الفلسطينية لحل المشكلة الفلسطينية فضلاً عن تجاهل حكومة الانتداب لجميع التوصيات التى أقرتها لجان التحقيق المختلفة التى قدمت إلى البلاد فى تلك الفترة من ١٩٢٠ ـ ١٩٣٦ وقد كان معظمها يحمل قدراً من الإنصاف للطرف الفلسطينى فى الصراع[١].

وإذا كان العشرينيات والثلاثينيات قد شهدت الجهود التى بذلتها الحركة الصهيونية بالتعاون مع الحكومة البريطانية من أجل إنشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين وهى الجهود التى توجت بصدور وعد بلفور، ثم بإعلان الانتداب البريطانى على فلسطين، فإن الأربعينيات قد شهدت ثمار هذه الجهود التى كانت تستهدف دعم الكيان الصهيونى فى فلسطين

(١) عادل غنيم/الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٧/١٩٣٦/القاهرة ١٩٧٥ .

بإنشاء دولة صهيونية مستقلة تكاتفت من أجل مساندتها الحكومة الأمريكية جنباً إلى جنب مع الجهود الصهيونية والبريطانية. ولقد حاولت الحكومة البريطانية استثمار الاهتمام الأمريكى بالقضية الفلسطينية وسعت إلى إشراك أمريكا فى حل القضية فقررت تشكيل لجنة تحقيق إنجليزية أمريكية لبحث المشكلة الفلسطينية وقد بدأت اللجنة أعمالها فى مارس ١٩٤٦ وأوصت باستمرار بقاء فلسطين تحت الانتداب البريطانى حتى يتم وضعها تحت وصاية الأمم المتحدة.

كما أوصت بإلغاء القوانين التى تحد من حرية بيع الأراضى، وبإصدار مائة ألف تصريح للمهاجرين اليهود إلى فلسطين، وقد قوبلت قرارات اللجنة بالرفض الكامل من جانب العرب واليهود على السواء مما ترتب عليه فشل اللجنة فى مهمتها. ولذلك لجأت بريطانيا إلى عقد مؤتمر مشترك للعرب واليهود فى لندن «١٩٤٦ ـ ١٩٤٧» ولكنه واجه الفشل أيضاً، وحينئذ قررت بريطانيا تحويل القضية الفلسطينية إلى الأمم المتحدة للفصل فيها[١].

وقد بدأت الأمم المتحدة بتشكيل لجنة التحقيق فى القضية فى مايو ١٩٤٧ وقد أوصت اللجنة بتقسيم فلسطين إلى ثلاث مناطق هى:

١ ـ دولة عربية.

٢ ـ دولة يهودية.

٣ ـ منطقة دولية تشمل القدس والأماكن المقدسة.

وقد اشترطت اللجنة أن توضع المنطقتان العربية واليهودية تحت وصاية الأمم المتحدة خلال فترة انتقالية مدتها عامان، على أن تواصل بريطانيا القيام بإدارة شؤون البلاد خلال تلك الفترة، وأن يسمح بدخول

(١) كامل خلة ـ فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ ـ ١٩٣٩ ـ بيروت ١٩٧٥ .

١٥٠ ألف مهاجر يهودى وإلغاء القيود المفروضة على حرية بيع الأراضى.

ومما يجدر ذكره أن هذه التوصيات هى ذاتها التى أوصت بها اللجنة الإنجليزية الأمريكية التى شكلت للتحقيق فى القضية الفلسطينية فى مارس ١٩٤٦[١].

الدفاع عن الوطن القومى اليهودى

ركزت الصحف الصهيونية خلال العشرينيات والثلاثينيات على الدفاع عن الوطن القومى اليهودى فى فلسطين بمختلف الأساليب والصيغ، كما اهتمت بترويج تعريفاتها الخاصة للصهيونية والوطن القومى اليهودى بما يتفق مع حرصها على بث الطمأنينة فى نفوس المصريين وتبديد مخاوفهم من ناحية. والعمل على تضليل الرأى العام المصرى توطئة لتحييده أو العمل على كسب بعض قطاعاته إزاء الصراع الصهيونى الفلسطينى من ناحية أخرى.

ولقد كانت المجلة الصهيونية الأول صوت صهيونى فى مصر بعد صدور وعد بلفور. وقد اهتمت بنشر عدة مقالات تؤكد فيها وجود قومية يهودية لا تستند إلى المقومات التقليدية للقوميات فالأسرة أو الدم والعنصر واللغة والدين ليست عناصر أساسية فى تكوين القومية وإننا كى ندرك معنى القومية يجب أن نركز على شقين هما أساس فكرة القومية إحداهما الماضى المملوء بالذكريات، والثانى الحاضر المملوء بالرغبة فى المستقبل.

وإذا كان اليهود يكونون وحدات لا يربطهم إلا التواصل الدينى ولكن يجمع بينهم تلك الروح المشتركة التى تربط الواحد بالآخر على ما بينهم

(١) انظر:

إميل توما: جذور القضية الفلسطينية/م. أ. ق/بيروت ١٩٧٣ ص ٢٧٣، ٣٠٢ .

عبدالوهاب الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث/بيروت ١٩٧٠ .

ناجي علوش: المقاومة الفلسطينية ١٩١٧/١٩٤٨/بيروت ١٩٦٧ .

من بُعد. فالدين سفينة اليهود الوحيدة فى بحر الحياة إلى القومية[١].

كما حرصت المجلة الصهيونية على إعداد ردود مدروسة تناولت فيها جميع التساؤلات والشكوك وكانت تقوم بتنفيذها وكانت تبث من خلالها المقولات والتعريفات التى تهدف إلى غرس المفاهيم والتفسيرات الصهيونية فى العقل المصرى.

وكثيراً ما كانت تردد فى كتاباتها «أن اليهودية لا تنحصر فى الصلاة والصوم فقط بل تتعداه إلى كثير من الأمانى القومية. فاليهودى ليس المتمسك بشريعة موسى بل المنتسب إلى جماعة تربطهم، وكلمة اليهودية تعنى القومية والدين معاً. ثم إن لهذا الدين لغة مقدسة هى خير واسطة لتعارف اثنين من اليهود التقيا فى غربة»[٢].

أما مجلة إسرائيل فقد حددت موقفها من وعد بلفور وإنشاء الوطن القومى اليهودى على النحو التالى: «إن تأييد الوطن القومى والدعوة إليه من أهم مبادئنا لأننا موقنون أن عودة اليهود إلى فلسطين سوف تعود بالخير الجزيل على الشرق عامة وفلسطين خاصة لهذا دعونا بحرارة وإيمان إلى وجوب تعضيد هذا المشروع الإنسانى الذى يرمى إلى إنهاض بلاد مقفرة وأرض موات ولقد دعونا بلسان عربى مبين ليعلم الجميع من عرب ويهود أن اليهود إذا ما عادوا إلى فلسطين فإنهم لا يعودون غزاة فاتحين ولكن بناة عاملين للخير ومنفعة الجميع»[٣].

وقد حاولت صحيفة إسرائيل أن تنفى عن الحركة الصهيونية شبهة التعصب الدينى مستندة فى ذلك إلى البيان الذى أصدره المجلس الملى ليهود فلسطين والذى جاء فيه «أن الصهيونية ليست فى سداها ولحمتها

(١) المجلة الصهيونية ١٩٢٠/٣/١٢ .

(٢) المجلة الصهيونية ١٩٢٣/٤/٢٧ .

(٣) إسرائيل ١٩٢٣/١/٦ .

شيئاً من التعصب الدينى لأنها تقوم على احترام الأماكن المقدسة فى فلسطين وتحترم حقوق المسلمين هناك كما أن مساعيها موجهة نحو العمران وتحسن الزراعة وتقدم الصناعة ومقاومة الأمراض وتأسيس المدارس فقط»(١).

وتتفق الصحف الصهيونية فى اتخاذ موقف الدفاع المستميت عن مشروعية الوطن القومى اليهودى وذلك إما بنشر المقالات المباشرة أو من خلال نقل خطب وتصريحات كبار القادة السياسيين العالميين خصوصاً البريطانيين.

وقد اعتمدت مجلة الاتحاد الإسرائيلى على الطريقة الأخيرة فتراها تعرض دفاعها الحار عن الوطن القومى على لسان لويد جورج رئيس الوزراء البريطانى فى إحدى خطبه عن اليهود إذ يشير إلى سوء الفهم والمعاملة التى يصادفها الإسرائيلى إذا عاش فى بلاد غريبة فهو يجازَى بالاضطهاد والقتل والإيذاء وإذا عزم على العودة إلى بلاده يُمنع ويحال بينه وبين أمنيته(٢).

وتجرى الاتحاد الإسرائيلى مقارنة مغرضة «على لسان لويد جورج أيضاً» بين فلسطين الأيام الخوالى عندما كانت تفيض لبناً وعسلاً فى ظل أصحابها وكيف تحولت الآن إلى صحراء قاحلة وتعلق على ذلك بقولها «شتان بين رضيع تربيه أمه وآخر تربيه ظئر - وإذا أردنا إعادة فلسطين إلى ما كانت عليه من التقدم والخير والنجاح فيجب أن نسعى لتوطين الإسرائيليين فيها»(٣).

والتزاما بهذا التقليد الذى استنته مجلة الاتحاد الإسرائيلى نراها تنقل للقراء رؤيتها للوطن القومى اليهودى عل لسان السكرتير العام للجنة

(١) إسرائيل ٢٠ - ٩ - ١٩٣٣ .

(٢) الاتحاد الإسرائيلي ١٠ - ٨ - ١٩١٤ .

(٣) المصدر السابق.

التنفيذية الصهيونية تقول «نريد أن نعود إلى فلسطين أرض آبائنا وأجدادنا لنعيش فيها كأمة وكوحدة سياسية ولسنا ندرى الآن ماذا تكون الصيغة السياسية لهذه الأمة فى المستقبل. ونحن لا نود أن نستأثر بفلسطين ولكننا نريد أن نخلق فيها وطناً وفى فلسطين متسع لنا وللعرب وكل ما يهمنا هو إنشاء الوطن القومى ولا تهمنا السياسة»(١).

وتتبارى كل من الصحف الصهيونية وتلك اليهودية ذات الانتماء الصهيونى فى التصدى للهجوم الذى كانت تشنه بعض الصحف المصرية ضد الصهيونية فنلاحظ أن كلاً من المجلة الصهيونية والاتحاد الإسرائيلى تخصصان العديد من كتاباتهما للرد على الكتاب المصريين والفلسطينيين المقيمين فى مصر.

ويدور دفاع هاتين الصحيفتين حول تأكيد مدى إخلاص اليهود للبلاد التى يقيمون بها، ولم يحدث فى يوم مَّا أن اتهم يهود بلد بخيانة البلد التى يقيمون بها، كذلك تردد النغمة التى حاولت ترويجها معظم الصحف الصهيونية والموالية للصهيونية فى مصر والتى تدور حول «أن الصهيونية قد أحالت الأراضى المقدسة من صحراء جرداء قاحلة إلى جنينة فيحاء ومن عسر فى المعيشة إلى يسر»(٢).

وتحاول هذه الصحف تأكيد مقولتها السابقة بالاستشهاد بأجور العمال العرب التى كانت قبل مجىء الصهيونية إلى فلسطين لا تزيد عن ثلاثة قروش للعامل بينما أصبحت ١٢ قرشاً يومياً مع تحديد ساعات العمل بثمان ساعات يومية.

ودائماً كانت الصحف الصهيونية تختم دفاعها بكلمة توجهها إلى خصومها تطالبهم بضرورة مراجعة أنفسهم فيما يروجونه عن الصهيونية

(١) الاتحاد الإسرائيل ٢١ ـ ٦ ـ ١٩٢٧ .

(٢) انظر المجلة الصهيونية يونيو ١٩٢٢ والاتحاد الإسرائيلي أبريل ١٩٢٦ .

من أباطيل وإلا فهم الخاسرون، وقد استعانت مجلة الاتحاد الإسرائيلى فى إحدى مقالاتها بكلمة سعد زغلول الخالدة «إن الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها»[1] وذلك لتحذير خصومها من التمادى فى «افتراءاتهم» ضد الصهيونية.

وقد عمدت الصحف الصهيونية إلى إبراز القيم الخلقية التى استقتها الصهيونية من المثل العليا اليهودية. كما أكدت على أهمية الوسائل النفسية فى اجتذاب عطف اليهودية العالمية على قضية الوطن القومى اليهودى. فإذا كان هناك كثير من اليهود يرون الوطن القومى أملاً بارقا ويرون فيه خاتمة لآلامهم فالبعض يرون فيه خطراً جديدا وسلاحاً فى يد الخصوم.

وإذا كان اليهود السعداء فى أرض الحرية يشعرون بالعظمة الروحية فكثيراً منهم يرون أن عقبة جديدة فى سبيل اندماجهم. على ان كل ذلك هو من صنع الخاصة والذى يجب تحقيقه هو تعميم الحركة»[2].

كذلك أشارت المجلة الصهيونية فى بعض كتاباتها إلى الصعوبات التى تكتنف الطريق أمام الفكر الصهيونى ومحاولة تحقيقه فى كيان مادى يجسد الطموحات الصهيونية القديمة والمعاصرة.

هذا وقد أعادت مجلة الاتحاد الإسرائيلى نشر المقال وأضافت إليه الوسائل المادية التى يجب أن تعتمد عليها الحركة الصهيونية من أجل تعميم ونشر الفكر الصهيونى وفى معرض حديثها عن تلك الوسائل أشادت الاتحاد الإسرائيلى بالجهود التى بذلتها الولايات المتحدة لتحويل الوطن القومى اليهودى من وثيقة دبلوماسية إلى واقع حى. وقد تمثلت المساعدة الأمريكية فى المبالغ الضخمة «١٥ مليون جنيه» التى خصصتها للاستثمار فى المشروعات اليهودية بفلسطين.

(١) المصدر السابق الاتحاد الإسرائيلى أبريل ١٩٢٦ .

(٢) الاتحاد الإسرائيلي ٢٠ ـ ٩ ـ ١٩٢٧ .

وهنا تنتهز المجلة هذه الفرصة كى تطالب أمريكا بتخصيص مبلغ آخر من أجل توسيع المستعمرات اليهودية وإنشاء مستمرات جديدة «وبذلك يشعر الوطن القومى اليهودى بوجوده المتحقق بالفعل كما تصبح اليهودية العالمية مرغمة على تحمل تبعاتها»[1].

ومما يجدر ملاحظته أن الحرص الشديد الذى بدأ من جانب الصحف الصهيونية فى محاولة إخفاء النوايا الحقيقية للحركة الصهيونية وإصرارها على الدفاع عن حق اليهود فى مجرد إقامة كيان قومى لهم فى فلسطين وأن طموحاتهم لا تتعدى حدود ذلك ـ هذه الصورة المضللة التى حرصت على إبرازها الصحف الصهيونية طوال العشرينيات والثلاثينيات سرعان ما انكشفت ملامحها وأهدافها الحقيقية فى الأربعينيات.

فبينما نلاحظ أن مجلة الاتحاد الإسرائيلى تحاول أن تنفى عن اليهود شبهة الرغبة فى إنشاء مملكة يهودية فى فلسطين تماثل إنجلترا الإنجليزية أو أمريكا الأمريكية وتؤكد أن مقصد اليهودية ينحصر فقط فى أن تكون لهم بلد يجدون فيه الأمان والحرية وأنهم ليس لهم آمال أبعد من أن يكونوا فلسطينيين يجمعهم مع العرب وطن واحد وجنسية واحدة[1]. عندما تقارن هذه النغمة المستكينة التى تحاول استدرار العطف على حق اليهود فى كيان يضمهم ويحميهم من الشتات والاضطهاد بتلك الكتابات التى نشرتها الصحف الصهيونية فى الأربعينيات والتى تكشف عن نواياها فى سفور وجرأة وعلانية حملت لواءها صحيفة الشمس ـ عندما تجرى هذه المقارنة سوف نكشف بعض مكونات المخطط الصهيونى الذى يتسم بقدر هائل من الدهاء والخبث. فإذا كان هدف هرتزل منشئ الصهيونية هو إقامة دولة يهودية فى فلسطين فإن الصعوبات العملية التى

(١) المصدر السابق.

(٢) الاتحاد الإسرائيلي ١٩٢٧/٦/٢١ .

واجهتها الحركة الصهيونية من جانب العرب والفلسطينيين وعدم مواتاة الظرف الدولى حينئذ قد أجبرت القيادات الصهيونية على تأجيل هذا الحلم مرحليّاً حتى تواتيهم الظروف الملائمة وينضج الظرف الموضوعى لصالحهم، وحينئذ يصبح فى مقدورهم الإعلان عن نواياهم وأهدافهم الحقيقية وهذا هو ما حدث بالفعل وعبرت عنه صحيفة الشمس[1] فقد نشرت شهادات القادة الصهيونيين "مثال وايزمان وبن جوريون أمام اللجنة الإنجليزية الأمريكية التى تشكلت ١٩٤٦ للتحقيق فى المسألة الفلسطينية وكذلك أمام لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة ١٩٤٧ حيث أعلنوا بوضوح أن الدولة اليهودية هى هدفهم ومطمعهم الأول باعتبارها الحل الوحيد للمشكلة اليهودية[2].

الهجرة اليهودية والنشاط الصهيونى فى فلسطين

اعتمد الغزو الصهيونى لفلسطين الذى بدأ فى أواخر القرن التاسع عشر على العنصر البشرى كأحد أركانه الأساسية وقد كانت الحركة الصهيونية تشعر منذ إعلان وعد بلفور أن «تصريح بلفور وأهداف انتداب جمعية الأمم سوف تبقى قصاصة من الورق إذا لم تعمل الحركة الصهيونية على الإتيان باليهود إلى فلسطين وتهيئة الأرض لاستيطان واسع النطاق.

وكانت الحركة الصهيونية مقتنعة تماماً أن الهجرة والاستيطان سيخلقان الوقائع السياسية التى لا مهرب منها وهذه الوقائع هى التى ستأتى بالاستقلال[3].

ولهذا كان لابد أن تتدفق الهجرة أولاً.. وقد تدفقت الهجرة فعلاً

(١) الشمس ١٩٣٥/١١/٢١ .

(٢) انظر الشمس ١٩٤٤/٩/١٥، ١٩٤٧/١٢/١٢ .

(٣) ناجي علوش/مصدر سابق ص ١٤٥ .

ضمن حدود وقيود شكلية وتحت راية سلطة متعاونة لا تكافح الهجرة غير المشروعة[1]. بل كانت تمنح السياح والمتسللين تصاريح إقامة شرعية، ويقضى عقد الانتداب فى فلسطين على الدولة المنتدبة بأن تعاون اليهود على الهجرة إليها وتسهيل سبل الإقامة لهم.

كما أنه يقضى أيضاً بأن تحمى حقوق الطوائف الأخرى وأن لا تتعرض لها بسوء. ولم يوضح العقد حدود هذا الواجب واكتفى بهذا النص العام وترك للدولة المنتدبة حرية التفسير والعمل.

وقد وضعت بريطانيا لائحة لتنظيم الهجرة إلى فلسطين وجعلت القدرة الاقتصادية للبلاد على الاستيعاب أساساً للهجرة اليهودية وقد تمسكت الحركة الصهيونية بهذا المبدأ الذى ينص على أن الهجرة لا يحدها سوى مقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب لأنه شىء عسير التحديد والضبط كما أنه يطابق مصالحهم تماماً[2].

واتخذت الحركة الصهيونية الإجراءات لدخول المزيد من المهاجرين بعد أن جرى تخفيف موجة الهجرة فى أواخر ١٩٢٠ بسبب الاضطرابات وعدم القدرة على الاستيعاب، وأوقفت الهجرة اليهودية فى عام ١٩٢١ بعض الوقت بسبب الصدامات التى وقعت فى ذلك العام. وأصبحت البطالة خطيرة فى صيف ١٩٢٣ حتى أن ١٢٪ من العمال اليهود كانوا عاطلين عن العمل.

ولذلك تناقصت الهجرة فى ذلك العام ووصلت إلى ٧٤٢١ مهاجراً بعد أن كانت قد وصلت إلى ٢٠ ألف مهاجر عام ١٩١٩ والواقع أن تدفق الهجرة فى تلك الفترة التى تمتد من ١٩١٧ ـ ١٩٢٣ قد أحدثت أزمة شديدة فى البلاد بسبب عدم إقبال المهاجرين على العمل فى الزراعة، ولم

(١) السياسة ١٩٢٩/١٢/٧/الهجرة إلي فلسطين.

(٢) سعد الياس: الهجرة اليهودية إلي فلسطين المحتلة م. أ. ف/بيروت ١٩٧١ .

تكن الصناعة فى البلاد قادرة على استيعاب كل الأيدى العاملة اليهودية الوافدة على البلاد[١].

ويروى الكاتب اليهودى جون سوارس الذى كتب سلسلة مقالات عن الصهيونية فى فلسطين ،أنه لمح كآبة شديدة فى أعين السيدات وقرأ حسرة أشد منها فى عيون الرجال الذين فارقوا وطنهم وذلك أثناء تجوله فى مدينة تل أبيب التى تضم ثلث الصهيونيين فى فلسطين إذ يسكنها ٤٠ ألفاً من اليهود»[٢].

وقد ذكر المؤتمر الصهيونى الثالث عشر الذى انعقد فى كارلسباد فى أغسطس ١٩٢٣ أن «الأحوال الحاضرة فى فلسطين ليس من شأنها تأمين رقى البلاد كوطن قومى ولا إنشاء سلطة يهودية قوية لأن عدد الموظفين قد نقص ولأن المهاجرة حددت ولأن أملاك الدولة لم تزرع للآن»[٣].

وبناء على ذلك قرر المؤتمر أن يمد حركة الاستعمار الصهيونى فى فلسطين بنصف مليون جنيه. كان هذا القرار موضع اهتمام الصحافة المصرية والصهيونية على السواء. فقد اعتبرته الأولى مؤشراً هاماً على إخفاق الحركة الصهيونية إذ أن مبلغ نصف مليون جنيه الذى قرره المؤتمر لمشاريع الاستعمار الصهيونى لا يمكن أن يكفى لإنقاذ الموقف، وقد ردت الصحف الصهيونية مدافعة عن الحركة الصهيونية على اجتياز الصعوبات والعوائق التى تلاقيها ليس فى فلسطين وحدها بل فى بلدان العالم الأخرى[٤].

وقد تعرضت حركة الهجرة اليهودية لانتكاسة جديدة سنة ١٩٢٧ إذ دخلها ٣٧١٣ يهودياً وغادرها ٥٠١٧ يهودياً وظلت أعداد المهاجرين اليهود

(١) كوكب الشرق ١٩٢٩/٦/١٢ .

(٢) إسرائيل ١٩٢٣/٤/١٢، ١٩٢٣/٥/٦ .

(٣) عواطف عبدالرحمن: مصدر سابق ص ٣٤٣ .

(٤) انظر المجلة الصهيونية: ١٩٢٣/٥/١، إسرائيل ١٩٢٣/٨/١٦، البلاغ ١٩٢٣/٨/٢٢ .

الوافدين إلى فلسطين فى تناقص مستمر حتى بداية الثلاثينيات.

فاليهود الذين دخلوا فلسطين مدفوعين بالأمل فى أوائل العشرينيات كانوا يعودون أدراجهم إلى أوروبا مدفوعين بخيبة الأمل، وآخرون منهم سعوا لدخول الولايات المتحدة الأمريكية وازدادت خطورة الحالة فى نظر الصهيونية لأن حاجتهم كانت ماسة إلى مزيد من تدفق رؤوس الأموال وزيادة الهجرة كانت تعنى زيادة فى رؤوس الأموال. وكان المهاجرون اليهود يتظاهرون أمام مكاتب الوكالة اليهودية مطالبين إما بالعمل أو الغذاء أو العودة إلى بلادهم الأصلية.

وحين استنفدت الوكالة اليهودية أموالها اضطرت حكومة الانتداب إلى تشغيل اليهود العاطلين فى بناء الطرق وخلافها لتلافى الأزمة[1].

وفى مواجهة الصعوبات والعقبات التى صادفتها الصهيونية فى فلسطين لم يتوقف الصهيونيون عن بذل الجهود الدؤوبة من أجل تحقيق الهدف البعيد وهو تحويل فلسطين إلى دولة يهودية. فهم لم يكفوا لحظة واحدة عن السعى لإنماء عددهم فى البلاد بشتى الوسائل كما عملوا على توسيع سيطرتهم الاقتصادية على فلسطين بالاستيلاء على كل ما يمكن الاستيلاء عليه من أراضٍ وعقارات ومصانع ومتاجر.

وبينما كانت الصحافة المصرية تتابع تصاعد حركة الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتسهم بإيجابية فى كشف مواطن الخلل والتواطؤ محاولة إبراز الجهود المتواضعة التى كان يبذلها الشعب الفلسطينى فى مواجهة التواطؤ البريطانى الصهيونى المدعوم برؤوس الأموال اليهودية والقوى العسكرية المدربة ووسائل الدعاية العنصرية وفى النهاية تأييد الدول الغربية بأكملها ـ فى هذا الوقت كان الصوت الصهيونى فى مصر لا يخفت مطلقاً. بل نراه يعلو احتجاجاً أو تأييداً أو استنكاراً طبقاً للظروف ووفقاً لمراحل بناء الوطن

(١) البلاغ ١٩٢٩/٤/٩ .

القومى اليهودى فى فلسطين والصعوبات التى كانت تعترض إقامته.

وقد أصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض فى أكتوبر سنة ١٩٣٠ الذى تناول مسألة الهجرة اليهودية وأوصى بضرورة التشديد فى مراقبة المهاجرين وإبعاد من يحاول منهم التلاعب بالقوانين والحد من تدخل المنظمة العمالية اليهودية فى تنظيم الهجرة اليهودية، كما أشار إلى العلاقة بين ازدياد البطالة بين العرب وارتفاع معدل الهجرة اليهودية، كذلك أوصى بأن تعمل الدولة المنتدبة على تخفيض الهجرة أو توقيفها إذا استدعت الضرورة ذلك ريثما يتسنى إيجاد عمل للعاطلين من الفئات الأخرى(١).

حينئذ ارتفعت أصوات الصحف اليهودية فى مصر تندد بموقف حكومة ماكدونالد. التى لم تقدر فى بادئ الأمر النتائج الخطيرة التى كان من الطبيعى أن تترتب على وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين وترى صحيفة إسرائيل أن أولى هذه النتائج هى حبس الأموال اليهودية عن فلسطين بسبب موجة السخط التى أثيرت بين الدوائر اليهودية فى مختلف أنحاء العالم والتى تبلورت فى شكل مظاهرات واحتجاجات شديدة ضد بريطانيا. وتستشهد الصحيفة بمظاهرة نيويورك التى اشترك فيها ٢٥ ألف يهودى للاحتجاج على وقف الهجرة وانتقاد سياسة بريطانيا بسبب عدم احترامها لالتزاماتها الدولية إزاء الوطن القومى اليهودى وتبالغ الصحيفة فى تصوير الأثر الذى ترتب على صدور الكتاب الأبيض وتوصياته الخاصة بالهجرة فتشير إلى صداه فى لجنة الانتدابات التى وجهت اللوم إلى الحكومة البريطانية لعبثها بحقوق الشعب اليهودى، ويصل إلى حد أنها «لا تستبعد على الدول التى وقعت على تصريح بلفور وعددها ٥٢ دولة أن تطالب إنجلترا بتنفيذ هذا الوعد وإنشاء الوطن القومى»(٢).

(١) الاتحاد ٢١ ـ ٨ ـ ١٩٤٣، المقطم ٢٦ ـ ٧ ـ ١٩٣٤ .

(٢) إسرائيل ١٢ ـ ٦ ـ ١٩٣٠ حاجة فلسطين إلى مهاجرين جدد.

إسرائيل ١٢ ـ ٦ ـ ١٩٣٠ وقف الهجرة ونتائجها.

وتشير صحيفة إسرائيل إلى احتجاج أصحاب المصانع فى تل أبيب على وقف الهجرة بسبب الأضرار البالغة التى ستصيب الصناعة اليهودية فى فلسطين نتيجة احتياجها الشديد إلى أعداد وفيرة من العمال اليهود، وإلى أن قرار وقف الهجرة سيعوق بناء الوطن القومى اليهودى. ولكن رغم ذلك «فإن الشعب الأزلى يأبى أن يتنازل عن حقوقه فى سبيل وعود كاذبة وأمان مسلوبة بل سوف يواصل كفاحه من أجل لقب الحضارة اليهودية مهما كانت العوائق»(١).

وقد أثيرت القضية مرة أخرى عندما كتب سعد يعقوب المالكى مقالاً للرد على الاقتراحات التى طرحها المندوب السامى على رؤساء البلديات فى نوفمبر ١٩٣٣ والخاصة بتقييد الهجرة اليهودية إلى فلسطين. إذ أجرى مقارنة بين ما كانت عليه فلسطين قبل الهجرة اليهودية وبين ما هى عليه اليوم فقال: «إن المرء إذا ما قارن بين ما كانت عليه فلسطين بالأمس من خمول وفقر وإقفار وما هى عليه اليوم من تقدم وعمار ورقى لتولاه العجب وأخذته الدهشة من هذا التقدم الباهر الذى قطعته البلاد بفضل سواعد المهاجرين وأموالهم. إن ذوى المآرب السياسية يجادلون فى هذه الحقيقة ويحاولون التمويه على الشعب العربى فى فلسطين. والمؤلم أن السياسة البريطانية تتأثر بصيحات هذه الفئة ولا تنظر إلى مستقبل البلاد. ولم تكتف بذلك بل كثيراً ما عمدت إلى مشروعات اليهود فعرقلتها وإلى حقوقهم المشروعة فعبثت بها. وهذه الحملة المنكرة على المهاجرين ليس لها معنى سوى أن الحكومة البريطانية قد حنثت بعهودها وعبثت بالمهمة التى ناطتها بها عصبة الأمم(٢).

وتقوم صحيفة الشمس باستكمال الدور الذى لعبته صحيفة إسرائيل

(١) المصدر السابق.

(٢) إسرائيل ١٩٣٤/١/٥ .

وتساندها ايضاً صحيفة الصوت اليهودى لسان حال حزب التصحيحيين فى محاولة للتأثير على الرأى العام المصرى، وذلك بالعمل على تهدئة أثر الحملات التى تقوم بها الصحف العربية فى مصر ضد الهجرة الصهيونية، وتردد كل من «الشمس» و«الصوت اليهودى» وجهة النظر ذاتها مع اختلاف اللهجة وأسلوب المعالجة، إذ أنها تتسم بقدر كبير من الهدوء واصطناع الأسلوب الناعم فى طرح وجهة نظرها، وذلك بالنسبة لصحيفة الشمس، أما «الصوت اليهودى» فقد اتسم أسلوبها بالتطرف والحدة. ولكن تتفق الصحيفتان الصهيونيتان فى إلقاء المسؤولية على بريطانيا. فهى التى تبذر الشقاق بين الشعبين الشقيقين «وتمنعهما من المشاركة فى بناء الوطن المشترك. وتريان أن تردد الحكومة البريطانية وتلكؤها يعوق الدور الحضارى للشعب اليهودى فى فلسطين «إذ لو كانت الأمور فى فلسطين تسير فى نهجها الطبيعى لأطلقت الحكومة الهجرة من عقالها وأزالت من سبيلها جميع العقبات حتى يتسنى لليهود أن يسيروا بالبلاد فى سبيل التقدم»[1].

وقد ساهمت صحيفتا الشمس وإسرائيل فى محاربة القيود التى وضعتها بريطانيا على هجرة اليهود إلى فلسطين وطالبتا بإطلاقها استناداً إلى النقص فى الأيدى العاملة الذى تعانى منه المصانع فى فلسطين فضلاً عما كانتا تزعمانه بشأن الدور الذى كان يقوم به اليهود فى ترقية البلاد وتقدمها[2].

وقد كان للضغوط الدعائية التى مارستها الصحف الصهيونية على الحكومة البريطانية تأثيرها الواضح إذ سرعان ما أصدرت عام ١٩٣١ كتاباً جديداً نقضت به سياستها السابقة فى الكتاب الأبيض. إذ نصت على إلغاء كل القيود التى كانت قد فرضتها على الهجرة اليهودية. وقد

(١) انظر الشمس ٢٦ ـ ١٠ ـ ١٩٣٤ .

(٢) الشمس ٢ ـ ١١ ـ ١٩٣٤، إسرائيل ١٣ ـ ٤ ـ ١٩٣٤ .

أطلق العرب على هذا الكتاب «الكتاب الأسود» إذا اعتبر جواز مرور لقدوم أعداد كبيرة من المهاجرين اليهود الجدد إلى فلسطين.

هذا وقد شنت الصحافة الصهيونية حملة عنيفة ضد المعارضة العربية للهجرة اليهودية إلى فلسطين، وتزعمت صحيفة إسرائيل لواء الدفاع عن مشروعية الهجرة اليهودية. وقد تميز أسلوبها بالحدة والانفعال، والتقت معها صحيفة الصوت اليهودى المعروفة باتجاهاتها المتطرفة، بينما حاولت «الشمس» أن تقوم بنفس الدور ولكن مع اختلاف الأسلوب، إذ تجنبت النغمة الصدامية وحاولت أن تقلل من شأن المعارضة العربية فى فلسطين، ووجهت عتاباً خبيثاً للمعارضين متهمة إياهم بالعمل على الدعوة للتفرقة بين اليهود وأشقائهم العرب من أجل الحصول على بعض المكاسب الرخيصة(١).

وقد حاولت صحيفة إسرائيل إبراز ضآلة المجموعات العربية المعارضة فعمدت إلى توجيه التهم وتلويث سمعة العناصر الفلسطينية المعارضة مثل اتهامها لآل النشاشيبى بأنهم يصطنعون الوطنية ويعارضون الهجرة اليهودية فى حين أنهم باعوا أراضيهم للمهاجرين وكانوا من أوائل المستفيدين من الهجرة التى يحاولون مقاومتها الآن(٢).

أما صحيفة الشمس فقد اتسمت ردودها بالهدوء المصطنع وقد عمدت إلى تفنيد وجهات النظر المعادية للهجرة، وكانت تحرص على أن تنهى مقالاتها بتوجيه النصح إلى العرب والنظر إلى المستقبل بعين الحكمة، خصوصاً وأن تقدم فلسطين وعمرانها مرهون بتكاتفهم مع إخوانهم اليهود من أجل الوطن المشترك(٣).

وقد وصلت «الشمس» فى محاولتها لبث الطمأنينة فى نفوس العرب

(١) إسرائيل ٢٤ ـ ١١ ـ ١٩٣٣، الشمس ٢٦ ـ ١٠ ـ ١٩٣٤ .

(٢) إسرائيل ٢٠ ـ ١٠ ـ ١٩٣٣ .

(٣) الشمس ١٤ ـ ١٢ ـ ١٩٣٤ .

وإبعاد شبح الخوف من المخاطر التى تشكلها الهجرة اليهودية عليهم إلى حد الزعم بأن هناك هجرة عربية إلى فلسطين ولم يطالب اليهود بوقفها، بل وصلت مبالغتها إلى حد اعتبار «الحركة الوطنية اليهودية حركة عربية ترمى إلى استرداد مجد العروبة وإنهاض قطر عربى هو فلسطين ولو تفاهم العرب واليهود وطالبوا بحرية بلادهم لعاد ذلك على العرب بفائدة أكبر من كل ثورة يعقبها توطيد أقدام المحتلين»(١).

ولم تتوقف الصحف الصهيونية عن إبراز مزايا الهجرة اليهودية وإظهار أثرها فى تقدم فلسطين زراعياً وصناعياً وحضارياً، وقد خصصت صحيفة إسرائيل سلسلة طويلة من المقالات لهذا الغرض تناولت فيها فضل اليهود فى تحقيق التقدم الزراعى والاقتصادى فى فلسطين. وكانت لا تتوانى عن إجراء مقارنات بين فلسطين والدول العربية الأخرى المجاورة لها مثل سوريا.

وركزت على الدور الذى قام به اليهود المهاجرون فى تحويل الأراضى غير الصالحة للزراعة إلى أراضٍ خصبة تتميز بإنتاجيتها المرتفعة كذلك، تولت صحيفة الشمس إبراز التقدم الصناعى الذى تحقق فى فلسطين على يد اليهود، فأشارت إلى أن اليهود قد أقاموا فى فلسطين ١٦٠٠ مصنع خلال عشرين عاماً «١٩٢٠ ـ ١٩٤٠».

ولم تكف الصحف الصهيونية عن الإشارة من طرف خفى إلى مدى تأثير هذا التقدم على العلاقة بين العرب واليهود فى فلسطين وخصوصاً فى إضعاف مقاومة المعارضين للهجرة اليهودية.

فقد ذكرت صحيفة إسرائيل أن العرب فى فلسطين قد أدركوا أن مصلحتهم تكمن فى التعاون مع اليهود، ودليل ذلك فشل التجار المسيحيين فى القدس فى إقناع زملائهم المسلمين بتجديد مقاطعة اليهود بسبب

(١) الشمس ١٨ ـ ٦ ـ ١٩٣٦ .

الأضرار التى عادت عليهم من جراء ذلك[١].

كذلك اهتمت الصحف الصهيونية بالإكثار من الكتابة عن الأموال اليهودية التى تدفقت على فلسطين من المهاجرين، فقد نشرت صحيفة الشمس عرضاً لكتاب صدر فى فلسطين يحوى تفصيلات عن الأموال التى تدفقت على فلسطين منذ الاحتلال البريطانى حتى نهاية ١٩٣٩ .

وأرجعت التقدم الاقتصادى الذى شهدته فلسطين إلى هذه الأموال التى جاء بها اليهود إلى البلاد. كما ذكرت مجلة الاتحاد الإسرائيلى أن اليهود قد أنفقوا على فلسطين منذ الاحتلال البريطانى ١٩١٧ حتى ١٩٢٤ سبعة وعشرين مليون ريال، وذلك استناداً إلى التقرير الذى قدمته الجمعية الصهيونية للجنة الانتداب بعصبة الأمم[٢].

وإلى جانب ذلك فقد قدرت الدوائر الاقتصادية الأموال اليهودية المودعة فى البنوك الفلسطينية حتى سبتمبر ١٩٣٤ بحوالى ١٤ مليون جنيه[٣].

أما صحيفة إسرائيل فقد اهتمت بإبراز أوجه الإنفاق لرؤوس الأموال اليهودية التى تدفقت إلى فلسطين وذلك بجانب حرصها على ذكر الأرقام بصفة دورية ومحاولة تتبع مؤشرات الارتفاع فى الأرصدة اليهودية، وكانت تتعمد دائماً التفريق بين رؤوس الأموال التجارية وتلك التى تخصص للإنفاق على الخدمات مثل التعليم والإسكان والعلاج[٤].

■■■

(١) انظر إسرائيل ١٣/٤/١٩٣٤، ٢٩/٧/١٩٢٣، ٨/٥/١٩٣١، ٤/٧/١٩٣٠ .

(٢) الاتحاد الإسرائيلى ١٤/١٢/١٩٢٤ .

(٣) الشمس ١٤/١٢/١٩٣٤ .

(٤) إسرائيل ٣/٣/١٩٣٣ .

الصحافة الصهيونية
والسياسة البريطانية فى فلسطين

فى يوليو ١٩٢٠ بدأ الحكم الإدارى فى فلسطين بتعيين هربرت صموئيل أول مندوب سام بريطانى. وكان هذا التعيين بناءً على رغبة الصهيونية وبترشيحها وقد اعترف بذلك حاييم وايزمان فى كتابه «التجربة والخطأ» فقد ذكر بأنه هو الذى اقترح على الحكومة البريطانية تعيين هربرت صموئيل مندوباً سامياً على فلسطين ليتولى مسئولية ترجمة وعد بلفور إلى حقيقة واقعة(١).

وفى ٢٣ يوليو ١٩٢٣ وافق مجلس عصبة الأمم على نظام الانتداب على فلسطين. وفى سبتمبر ١٩٢٢ صدر دستور فلسطين وأصبح نافذاً ابتداء من اليوم الأول لصدوره ونشرته الجريدة الرسمية ومهد له بمقدمة احتوت على تصريح بلفور وصك الانتداب.

ورغم الجهود البارزة التى بذلتها الحكومة البريطانية من أجل تحويل الحلم الصهيونى إلى واقع مادى ملموس استطاع أن يفرض نفسه على حساب الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى من «أراضيه»، فإن موجة الهجوم والنقد الذى تعرضت له السياسة البريطانية فى فلسطين من جانب الصهيونية فى مصر لم تتوقف حتى إعلان قيام دولة إسرائيل فى مايو ١٩٤٨.

هذا وقد دارت السياسة البريطانية فى فلسطين حول عدة قضايا أساسية وأخرى فرعية وتولت الصحف الصهيونية متابعتها جميعا مع تفنيدها ونقدها والهجوم عليها فى معظم الوقت. وقد ركزت اهتمامها

(١) عودة بطرس عودة: القضية الفلسطينية في الواقع العربي. القاهرة ـ ١٩٧٠، ص ٣٠٧ .

على المحاور الأساسية التى يمكن حصرها أثناء العشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات فيما يلى:

١ ـ المحاولات البريطانية لإقامة مؤسسة يمكن بواسطتها الحصول على تعاون سكان فلسطين العرب مع الحكومة. وقد أسفرت هذه المحاولات عن ثلاثة أشكال هى المجلس التشريعى والمجلس الاستشارى والوكالة العربية وقد فشلت هذه الأشكال جميعها بسبب مقاطعة العرب لها. ويلاحظ بصدد التطور الدستورى أن موقف الحكومة البريطانية لم يطرأ عليه أى تبديل منذ إعلان سياستها سنة ١٩٢٢ وإذا كانت الحكومة البريطانية قد عرضت مشروع تأسيس المجلس التشريعى فى أواخر عام ١٩٣٣ فى محاولة لامتصاص النقمة الشعبية على السياسة البريطانية فى فلسطين فإن عرضها لم يكن صادقاً. بدليل أن وزير المستعمرات كليف ليستر قد أعلن فى مجلس العموم فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٣ ما يلى: «إن تعهداتنا ومسئولياتنا فى فلسطين ستظل كما هى سواء تم تشكيل المجلس التشريعى أم لم يتم»(١).

أما فيما يتعلق بموقف اليهود عن مشروع المجلس التشريعى فقد أعلنوا أنهم لن يتعاونوا مع الحكومة فى هذا السبيل. وقد جاء ذلك على لسان وزير المستعمرات البريطانى أمام مجلس العموم فى ١٠ ف ـير ١٩٣٦ عندما أشار إلى أن المندوب السامى قد طلب من ر ء العرب واليهود إبداء رأيهم إزاء مقترحات الحكومة الخاصة بتشكيل مجلس تشريعى. وعندما عرض المشروع على مجلس اللوردات فى ٢٩ فبراير ١٩٣٦ أسفرت المناقشة عن رفضه بسبب هجوم النواب البريطانيين الموالى للصهيونية، وذلك رغم الدفاع الذى قدمه وزير المستعمرات عن المشروع أمام مجلس العموم حيث أوضح عدم وجود تناقض بين تأسيس المجلس

(١) الأهرام ١٩٣٣/١٢/٢ .

التشريعى وصك الانتداب، لكن من اختصاصاته البحث فى مسألتى الأرض والهجرة إلا أن السلطة العليا فى يد المندوب السامى[1].

وقد انتصرت وجهة النظر الصهيونية وفشلت الحكومة البريطانية فى إقرار المشروع. وحاولت الحكومة البريطانية تغطية فشلها بالحصول على موافقة البرلمان على المجلس التشريعى خصوصاً وأن العرب لم يعلنوا رسمياً رفضهم للمشروع فأوعزت للمندوب السامى بدعوة وفد عربى إلى لندن للتفاوض فى ذلك الوقت. وبينما كان الوفد العربى يستعد للسفر إلى لندن كانت الثورة فى فلسطين قد اندلعت.

والتزاما بالخط الصهيونى العام فقد سارت الصحف الصهيونية فى مصر على نفس النهج المعارض لفكرة المجلس التشريعى ذاتها طالما اليهود لا زالوا أقلية فى البلاد. ولكن داخل الخط العام نلاحظ وجود اتجاهين:

الأول: تعبر عنه كل من صحيفتى إسرائيل والصوت اليهودى وتفسر أن أسباب مقاومة القيادة الصهيونية بجناحيها المعتدل و لمتطرف لهذا المشروع بما يلى:

«لنا من الخبرة ما يكفى لأن نعرف أن الموظفين البريطانيين فى فلسطين لا يمكن الاعتماد عليهم فى الدفاع عن مبادئ الانتداب هذا أولاً.

وثانياً نرى من الأوفق أن الخطوة الثانية بعد إقامة المجلس ستكون إعطاء العرب بوصفهم الأكثرية مزيداً من السلطات بالنسبة للأمور الخارجية عن صلاحيات المجلس، الأمر الذى سيواجهنا بخطر تجميد الوطن العربى اليهودى»[2].

أما الاتجاه الثانى فقد عبرت عنه صحيفة الشمس، وهو اتجاه رافض

(١) الأهرام ١٩٣٦/٢/٣، المجلس التشريعي في مجلس العموم.

(٢) انظر: الصوت اليهودي ١٩٣٥/٢/١٢، إسرائيل ١٩٣٥/١٢/٢٢ .

أيضاً ولكنه مغلف، ويشترط ضرورة اتفاق العرب واليهود أولاً قبل الاشتراك فى المجلس التشريع. فنراها تبدى اعتراضها على تجريد المجلس من صنع حياته التشريعية وتحويله إلى إدارة للتصديق على قرارات الحكومة لا أكثر ولا أقل[1].

وتفسر صحيفة الشمس رفض اليهود له بأنه: «تم دون تفاهم العرب واليهود واتفاقهم بشأنه مما سيجعل منه أداة للهدم، وهم يأبون أن يكونوا ألعوبة فى يد السياسة البريطانية للتفريق بينهم وبين إخوانهم فى الوطن والجنسية.

وترى صحيفة الشمس أنها أصبحت مهزلة حقّاً أن يوجد فى البلاد مجلس تشريعى ولا يملك التشريع وتنفيذ قراراته وتعلق على ذلك قائلة بأنه «لا يستغرب على السياسة الإنجليزية الجمع بين المتناقضات والتأليف بين الأضداد»[2].

٢ ـ تميزت فترة الانتداب البريطانى على فلسطين بسيادة الأسلوب البريطانى التقليدى فى مواجهة الاضطرابات القومية التى كثيراً ما كانت تنشب فى فلسطين احتجاجاً على السياسة الانتدابية الموالية للصهيونية وهو أسلوب التهدئة باللجان. فقد شهدت تلك الفترة لجنة «شو» التى انتدبت للتحقيق فى أحداث البراق ونشرت تقريرها فى أول أبريل ١٩٢٠ وما أن انتهت لجنة «شو» من عملها حتى ألفت الحكومة البريطانية فى لندن لجنة «جون هوب سميسون» تنفيذاً لتوصية لجنة «شو» بشأن بحث مسائل الأرض والهجرة والنهوض باقتصاديات البلاد ورفع تقرير عنها إلى حكومة جلالة الملك[3].

وقد كان تقرير سيمبسون، الذى قدمه إلى الحكومة البريطانية:

(١) الشمس ١٩٣٥/١٢/٢٦.

(٢) الشمس العدد سابق.

(٣) المقطم ١٩٢٠/٥/٢٤ .

فى ١٢ أغسطس ١٩٣٠ آخر مرحلة من التحقيقات التى أعقبت هبة البراق فى أغسطس ١٩٢٩ .

ولما كان هذا التقرير منسجماً مع رغبات اللورد باسيفيلد فقد سارع إلى إصدار بيان حول السياسة البريطانية فى فلسطين فى أكتوبر ١٩٣٠، وقد سمى هذا البيان كتاب باسيفيلد الأبيض ، ويتضمن تأكيد الاستمرارية فى التقيد بنظرية الالتزام المزدوج فى ظل الانتداب ومبدأ «الطاقة الاستيعابية الاقتصادية للبلاد» للاسترشاد به فى تحديد عدد اليهود المسموح بهجرتهم إلى البلاد. وقد أعقبت نشر الكتاب الأبيض موجة من النقد العنيف أثارتها الأوساط الصهيونية فى فلسطين وفى خارجها ضد الكتاب.

فقد قابلته جميع الصحف الصهيونية التى تصدر فى فلسطين وفى مصر بالرفض والإنكار، وقالت «إن اليهود سيواصلون النضال فى سبيل عودتهم إلى بلادهم إلى فلسطين دون معونة من أحد»[١].

وقدم وايزمان استقالته من رياسته المزدوجة للمنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية، وقدمت ٤٧ عريضة احتجاج يهودية من أنحاء العالم ضد الكتاب الأبيض[٢].

ولم تهدأ حدة هياج الصهيونيين حول هذه المسألة إلا بعد أن أعلن فى شهر نوفمبر أن الوكالة اليهودية قد دعيت لبحث أمر الكتاب الأبيض مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية وذلك تمهيداً للعودة إلى انتهاج سياسة بريطانية موالية للصهيونية فى فلسطين ثم أسفرت الضغوط الصهيونية عن صدور «رسالة ماكدونالد السوداء» فى ١٣ فبراير ١٩٣١

(١) المقطم ١٩٣٠/١٠/٢٥ .

(٢) د كمال خلة: فلسطين والانتداب البريطاني من ١٩٢٢/١٩٣٦، م. أ. ف بيروت ١٩٧٥ ص ٢٠٩ .

وقد وجهها مكدونالد إلى وايزمان مؤكداً فيها اعتزام الحكومة البريطانية التقيد بنصوص صك الانتداب الذى تعتبره التزاماً من جانبها نحو اليهودية العالمية لا نحو يهود فلسطين فحسب.

وهكذا وقفت السياسة البريطانية بحزم إلى جانب الوطن القومى اليهودى، ويؤكد تقرير اللجنة الملكية أن رسالة ماكدونالد كانت من جانب المطالب اليهودية أكثر مما كان عليه الكتاب الأبيض(١).

والواقع أن الرسالة ألغت مفعول الكتاب الأبيض وخاصة فى أهم قضية تناولها وهى قضية تطوير الحكم الدستورى والهجرة اليهودية إلى فلسطين.

وقد قاد الكتاب اليهود المصريون والجناح الصهيونى على الأخص حملة نقد عنيفة على السياسة البريطانية فى فلسطين، وكانت «الشمس» و«إسرائيل» والمقطم منابر رئيسية لهذا الهجوم. وكانوا يؤكدون فى هجومهم على بريطانيا بأن استمرار بريطانيا فى فلسطين أو تخليها عن الانتداب على أن ينقل إلى عصبة الأمم ذاتها كل ذلك لا يمس تصريح بلفور والوطن القومى بشىء، فليس الأمر معلقاً على إرادة انجلترا إذا أرادت العبث بعهدها لليهود، فقد وقعت على هذا العهد ٥٢ دولة وصدقت عليه عصبة الأمم، فاكتسبت صفة الوثيقة الدولية التى تتصل بشرف أمم العالم المتحدين(٢).

ورغم التراجع الذى بدا فى رسالة ماكدونالد بالنسبة للكتاب الأبيض لباسيفيلد، ولكن الصحف الصهيونية اعتبرت أن فكرة محاولة التخلى عن سياسة الوطن القومى من جانب الحكومة البريطانية ظلت قائمة وأن كل ما فعلته بريطانيا لصالح الوطن القومى اليهودى إنما فعلته تحت ضغط

(١) تقرير اللجنة الملكية/الكتاب الأبيض رقم ٥٤٧ النسخة العربية الرسمية إصدار حكومة فلسطين ـ القدس ١٩٣٧ .

(٢) السياسة ١٩٣١/١٢/٢٠ .

الراى العام فى بريطانيا نفسها وفى المجال الدولى، وأنه اتبعت سياسة التوازن فى البلاد التى تتطلب أن تنضم مرة للعرب ومرة لليهود.

وفى هذه المرحلة بدأ استخدام الطريقة الاستعمارية التقليدية بإثارة المنازعات بين الهيئات القومية والطائفية فى البلاد. وكان أول نزاع من هذا النوع هو حادث حائط المبكى[١].

وتحاول صحيفة إسرائيل تحليل الأسباب التى دفعت بريطانيا إلى إصدار الكتاب الأبيض ١٩٣٠ فتقول إن وزارة المستعمرات أرادت أن تسترضى دعاة الثورة عن طريق العبث بحقوق اليهود وهضمها، وأنه لولا تدخل السياسة البريطانية وخداعها ما أصاب فلسطين ما أصابها من مآس وآلام وما وقع فيها الصراع السياسى الذى نشاهده اليوم ولكن فاتها أن العرب واليهود من أصل واحد وأن عبثها بحقوق اليهود والعرب خير مساعد على اتحادهما[٢].

وتؤكد صحيفة إسرائيل أن السياسة البريطانية فى فلسطين ترمى إلى خلق قوتين متعارضتين تلتمسان معونتها أو حمايتها حتى يستمر بقاؤها فى المنطقة بعد أن تزيد من اعتماد هاتين القوتين «العرب واليهود» عليها.

وتشن الصحيفة هجوماً حاداً على سياسة لجان التحقيق التى انتهجتها بريطانيا. وترى أنها سبب فى جلب المتاعب وآثارة الشقاق بين العرب واليهود رغم أنها دعمت مركز الحلم البريطانى الذى ظهر بمظهر الذى يحافظ على استتباب السلام والنظام فى حياد وموضوعية طبقاً للالتزامات المزدوجة الواردة فى صك الانتداب[٣].

(١) السياسة ١٩٣١/٣/٢٠ رسالة ماكدونالد لسوداء.

إسرائيل ١٩٣٠/٦/١٢ هل تتخلى إنجلترا عن الانتداب لفلسطين.

(٢) إسرائيل ١٩٣٠/٥/٣٠ .

(٣) إسرائيل ١٩٣٠/٦/١٣ .

وقد حذرت صحيفة إسرائيل من أن ضياع ثقة اليهود بوعود بريطانيا يعود بالخسارة على فلسطين، إذ يمتنع اليهود عن تقديم مساعدتهم المالية لهذه البلاد. وهذا من شأنه أن يوقف حركة التعمير فى بلد هو فى أمس الحاجة إلى الأيدى العاملة لتعميره ومن شأن ذلك أن يقضى على الحركة التجارية ويقف بالبلاد دون التقدم بعد أن خطت خطوات سريعة جبارة فى ميدان التجارة والصناعة(١).

وفى عام ١٩٣٢ أوفدت بريطانيا مستر فرنش لدراسة الأوضاع فى فلسطين ووضع تقرير عنها. وقبل أن يعلن فرنش تقريره تنبأت إسرائيل بأن هذا التقرير سيكون قيداً جديداً تحاول به الحكومة الإنجليزية تقييد الوطن القومى لأنه لو كانت بريطانيا خالصة النية ما لجأت إلى السياسة التى تتبعها فى إبقاء لجان التحقيق والتقارير التى تستعين بها فى إنزال الضربات على الوطن القومى بعد عجزها عن صد التيار اليهودى والقضاء على الأمل الذى تنبض به قلوبهم العامرة بحب وطنهم فلسطين.

وتنهى الصحيفة كلامها مؤكدة أن كثرة لجان التحقيق التى تقوم الحكومة البريطانية بإيفادها إلى فلسطين دليل على فشل السياسة البريطانية فى فلسطين(٢).

٣ ـ تجددت حملة الصحافة الصهيونية ضد الانتداب البريطانى فى فلسطين ١٩٣٥ عندما عرضت الحكومة البريطانية اقتراحاتها بشأن المجلس التشريعى على الزعماء العرب واليهود.

وقد تناولت الصحف الصهيونية فى هذه المرة مشروعية الانتداب البريطانى فى فلسطين والدور التخريبى الذى قامت به بريطانيا فى العبث بحقوق العرب واليهود على السواء «بل أدخلت فى روع كل من

(١) إسرائيل ١٩٣١/٥/٨ .

(٢) إسرائيل ١٩٣٢/٦/٢٤ .

الفريقين أن هضم حقوقه راجع إلى الرغبة فى صون حقوق الآخر وهكذا تلاشت حقوق العرب واليهود جميعا» [1].

وكانت الصحف الصهيونية تلقى دائماً على بريطانيا المسئولية فى تعميق الشقاق بين العرب واليهود فى فلسطين، وذلك رغم أن الدكتور وايزمان قد اقترح فى إحدى المرات على الحكومة البريطانية أن تسمح له بالاجتماع بممثلى العرب حول مائدة مستديرة قائلاً: إنه واثق من الوصول إلى التفاهم معهم على كل شىء.

ولكن الحكومة الإنجليزية حاربت هذا الاقتراح كما حربت كل محاولة للتقارب بين العرب واليهود، وتبدى هذه الصحف حزنها وأسفها لأن العرب لم يفطنوا إلى هذه الحقيقة المحزنة ومضوا يحتجون على تعيين موظف يهودى أو دخول مهاجر يهودى تعس إلى البلاد عنى حين تغافلوا عن الواقع المؤلم وهو أن البلاد قد انقلبت إلى مستعمرة إنجليزية بينما هم يلهون بالصغائر[2].

وتؤكد هذه الصحف أن هناك طوائف يهودية يزيد عددها على عدد يهود فلسطين يعيشون فى كثير من الدول العربية ولم يحدث أن ضج سكان هذه البلاد من معاملة اليهود لهم، مما يؤكد أن السياسة البريطانية فى فلسطين هى التى خلقت الفجوة بين الآخرين وخلقت منهما خصمين[3].

٤ ـ فيما يتعلق بالثورات والانتفاضات الفلسطينية التى قامت طوال العشرينيات والثلاثينيات ضد المحاولات الصهيونية لانتزاع فلسطين من أيدى أصحابها نلاحظ أن الصحف الصهيونية قد ألقت مسئولية «هذه الاضطرابات» على حد قولها على الحكومة البريطانية، فقد كتبت صحيفة

(١) الشمس ١٩٣٥/٨/٨، الانتداب البريطاني يقبل التعديل.

(٢) أنظر الشمس ١٩٣٥/٨/١٣ .

(٣) إسرائيل ١٩٣٢/٧/٤ .

إسرائيل تندد بالسياسة البريطانية الخاطئة عند وقوع هبة البراق ١٩٢٩ وتقول «إن الحكومة قد وقعت تحت سيطرة المحرضين العرب وعملت على استرضائهم وخصوصاً عندما أقام العرب ضجة بسبب العفو عن اثنين من المتهمين اليهود وأمام ذلك تراجعت الحكومة البريطانية عن قرارها وأصدرت عفواً عن ٢٠ متهماً عربيّاً كان محكوماً عليهم بالإعدام. وليس هذا فقط دليلاً على عجز الحكومة وترددها أمام المهيجين العرب ولكن عندما نفذت حكم الإعدام فى ثلاثة وأمرت بدفنهم فى قلعة عكا ثم تراجعت وسلمتهم للعرب الذين احتفلوا بتشييع هذه الجثث»[١].

كذلك شنت «إسرائيل» هجوماً لاذعاً على حكومة الانتداب بسبب عجزها عن حماية المزارع اليهودية من هجمات المزارعين العرب، وتعلق الصحيفة بأن هذه الاعتداءات قد أساءت إلى سمعة الحكومة وشككت فى قدرتها على حفظ الأمن، وأن فى استطاعة حكومة الانتداب لو عنت بتطبيق القوانين أن تحمى الأموال والأرواح ولكنها لا تعبأ لأنها تستمد قوتها من هذه الفوضى والأزمات التى تسود البلاد[٢].

وتواصل الصحف الصهيونية اتهاماتها للحكومة البريطانية وتحملها مسئولية انتفاضة ١٩٢٣، وترى أن عدم إخلاص بريطانيا لصك الانتداب وإهمالها لنصوصه وخصوصاً ما يتعلق بالتزاماتها تجاه قيام الوطن القومى اليهودى فى فلسطين كان سبباً أساسيّاً فى وقوع هذه الاضطرابات والأزمات.. كما أن هذه السياسة المترددة وغير الحازمة قد عادت عليها بكراهية اليهود والعرب معاً[٣].

وعندما نشبت الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦ لجأت الحكومة

(١) إسرائيل ١٩٣٣/٨/١٨ .

(٢) إسرائيل ١٩٣٣/٨/١٨ .

(٣) إسرائيل ١٩٣٣/٩/٢٢، الشمس ١٩٣٦/٧/١٦ .

البريطانية إلى مواجهة الحالة بأقصى درجات العنف والشدة وأعلنت الأحكام العرفية لعلها تعيد الأمن والهدوء إلى البلاد. وقد حاولت الصحف الصهيونية فى مصر أن تلقى بظلال الشك حول أسباب قيام الثورة فأرجعتها إلى تدخل قوى أجنبية مشبوهة لأنه ليس ثمة ما يدعو العربى الكريم إلى الثورة على أبناء عمومته من اليهود.

وألقت صحيفة الشمس مسئولية تلك الأحداث على بريطانيا فقالت: «إن السياسة البريطانية هى التى جعلت من أبناء الوطن الواحد خصوماً بعد أن عاشوا الدهور الداهرة إخواناً فى حين أن حل المسألة الفلسطينية ميسور إذا كفت بريطانيا عن وضع العراقيل فى سبيل تفاهم العرب واليهود وتعاونهم[1].

واتباعاً لسياسة اللجان التى انتهجتها بريطانيا طوال فترة انتدابها فى فلسطين أرسلت الحكومة البريطانية لجنة تحقيق ملكية عرفت باسم لجنة بيل قامت بإعداد دراسة مفصلة عن المسألة الفلسطينية، واقترحت حلاً أساسياً للمشكلة يتلخص فى تقسم فلسطين إلى ثلاث مناطق:

١ ـ منطقة لليهود وتشمل المنطقة الساحلية الممتدة من حدود لبنان إلى جنوب يافا.

٢ ـ منطقة للعرب وتشمل الأحزاء الباقية وتضم شرق الأردن.

٣ ـ منطقة انتداب بريطانى دائم تشمل القدس والأماكن المقدسة.

وقد علقت صحيفة الشمس على هذا الاقتراح معلنة رفضها النهائى له ومنددة بالنوايا البريطانية وأشارت إلى إجماع العرب واليهود على معارضة التقسيم ومقاومة هدا المشروع ثم تساءلت بخبث هل تصر الحكومة البريطانية على إنجازه لأنه يصون الأمن رغم معارضة الأهالى؟

(١) الشمس ١٩٣٧/٧/١٥ .

وترى الصحيفة أن من الحكمة أن تعدل الحكومة البريطانية عن هذا المشروع وتبحث عن تسوية مقبولة للمسألة الفلسطينية، وقد يكون صك الانتداب خير مرشد إذا استعانت به الحكومة البريطانية[١].

ويعلق دكتور إسرائيل ولفنسون أحد الكتاب الصهيونيين البارزين فى مصر على مشروع التقسيم فيرى أن السياسة التى تجرى عليها إنجلترا لا ترقى إلا إلى تحقيق المصالح الاستعمارية التى لها فى فلسطين، لأن هذه الاضطرابات ليست سوى وسيلة للتقسيم بعد أن رأت إنجلترا منذ اللحظة الأولى مدى صلاحية فلسطين كقاعدة لها فى البحر الأبيض[٢].

ويستطرد الكاتب الصهيونى مشيراً إلى الأخطار والصعوبات التى سوف تترتب على إنجاز هذا المشروع فمن الناحية الاقتصادية سوف تحتاج كل دولة إلى جيش وبوليس ونظم حكومية وجمارك مما يؤدى إلى ارتباكات اقتصادية هائلة، فضلاً عن أنه من المتوقع أن تفرض إنجلترا فى كل دولة جيشاً من الموظفين الإنجليز لتدريب الأهالى على الحكم، وسوف تبتلع رواتبهم الجزء الأكبر من إيراد الدولة، وهذا ليس من مصلحة الأهالى. وينهى الكاتب تعليقه بإبداء أسفه الشديد لعدم تنبه العرب واليهود لهذه المؤامرة البريطانية ويطالبهم بضرورة التفاهم والاتفاق حرصاً على درء الخطر قبل استفحاله[٣].

وتتوالى نغمة المعارضة من جانب الصحف الصهيونية ضد مشروع التقسيم باعتباره مؤامرة استعمارية ضد العرب واليهود معاً. بل وصلت فى إدانتها للسياسة البريطانية إلى حد اتهامها بالتواطؤ مع الأحداث الفلسطينية وتطورات الثورة الفلسطينية ١٩٣٦ التى استمرت ثلاثة أعوام

(١) الشمس ١٩٣٧/٧/١٥ .

(٢) الشمس ١٩٣٧/٨/١٢ .

(٣) المصدر السابق.

كاملة،مؤكدة بأن غموض السياسة البريطانية وترددها وعجزها عن إخماد الاضطرابات خلال ثلاثة أعوام كاملة لهو دليل قاطع على نية بريطانيا المبيتة ضد الوطن القومى اليهودى[١].

وتمضى الصحف الصهيونية فى تشريح السياسة البريطانية بعين متشككة وتتساءل قائلة إن الصحف البريطانية تؤكد صباحاً ومساءً أن الاضطرابات التى تفشت فى لبلاد كانت نتيجة للدسائس الألمانية وقيام الألمان بتهريب الأسلحة والمال إلى الثوار وكان من حق هذه الجرائد أن تسأل وزارة المستعمرات التى تشرف على هذه البلاد أين كان رجالها وهذه الأعمال تجرى بانتظام لمدة طويلة؟ وأين بوليس فلسطين وأين عيون حفظة الأمن إذا كانت البلاد المفتوحة لكل من يريد تدبير ثورة مسلحة؟[٢].

وعندما قدمت بريطانيا مشروع التقسيم إلى عصبة الأمم وحصلت على موافقتها كان هذا نذير بتجدد الثورة ضد بريطانيا والصهيونية، إذ لم يوافق العرب على مبدأ التقسيم واستأنفوا نضالهم مرة أخرى سنة ١٩٣٨ .

وقد حملت صحيفة الشمس لواء المعارضة والهجوم على مشروع التقسيم من بداية إعلانه ودأبت على محاربته بشتى الوسائل، بل قامت بتحريض العرب على رفضه بدعوى أن تطبيقه سيعود على العرب بالضرر الكبير لأنه سيحرمهم نشاط المنطقة اليهودية وثروتها وحركتها الدائبة فى حين ستظل المنطقة العربية تعيش على النظم والأساليب التى عاشوا عليها لليوم[٣].

ومما يجدر ذكره أن اليهود قد لزموا الصمت إزاء مشروع التقسيم رغم أن بعض الهيئات الرسمية قد أيدته ولكن بشكل خفى.

(١) الشمس ١٩٣٨/١٠/٢٠ .

(٢) الشمس ١٩٣٨/١٢/١٥ .

(٣) الشمس ١٩٣٦/٨/٦ .

وقد واصلت صحيفة الشمس هجومها على مشروع التقسيم وحاولت أن تبرز الفوائد التى ستعود على بريطانيا من ورائه لأنه سيمكنها من السيطرة على البلاد بنفقات قليلة وسوف يريحها من المتاعب. كما ركزت الصحيفة على التقسيم باعتباره اللعبة السحرية التى تملكها بريطانيا وتستخدمها فى البلاد التى تظهر فيها مشاحنات عنصرية أو دينية.

«ففى آيرلندا تم التقسيم بسبب الخلاف الدينى بين الكاثوليك والبروتستانت وفى الهند مشروع للتقسيم وفى فلسطين مشروع للتقسيم وما التقسيم إلا خطة استعمارية ترمى إلى استعباد السكان إلى الأبد بدلاً من إعدادهم لحكم أنفسهم»[١].

وقد أدى امتداد الثورة الفلسطينية الكبرى إلى معظم أنحاء فلسطين واستمرارها حوالى ثلاثة أعوام مع تجمع نذر الحرب على الصعيد الدولى، أدى ذلك إلى لجوء بريطانيا إلى سياسة التهدئة، فأصدرت كتاباً أبيض ١٩٣٨ أعلنت فيه تخليها عن مبدأ التقسيم، ودعت إلى عقد مؤتمر مائدة مستديرة فى لندن يضم ممثلى العرب واليهود والدول العربية الأخرى.

وعندما فشل المؤتمر أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض ١٩٣٩ طرحت فيه رؤيتها العامة للمسألة الفلسطينية من خلال بعض الحلول للمشكلتين الرئيسيتين، وهما الهجرة اليهودية وانتقال الأراضى من أيدى أصحابها العرب.

وقد جاءت محتويات هذا الكتاب مخيبة لآمال العرب واليهود على السواء فهى بالنسبة للعرب لم تحقق مطالبهم الأساسية التى تنحصر فى إلغاء وعد بلفور والانتداب البريطانى والمناداة بفلسطين دولة عربية مستقلة، كذلك اجتاحت اليهود موجة عارمة من الغضب والسخط نتيجة لصدور هذا الكتاب[٢].

(١) الشمس ٦ ـ ١ ـ ١٩٣٨، ٣ ـ ١ ـ ١٩٤٧ .

(٢) أميل تومار ـ جذور القضية الفلسطينية ـ م. أ. ف ـ بيروت ١٩٧٣ ـ ص ٢٧٣ .

وقد حرصت صحيفة الشمس على نشر ردود الفعل اليهودية فى أنحاء العالم وهاجمت الصحيفة بريطانيا وأشارت إلى أن فلسطين ليست ملكاً خاصّاً لها كى تتصرف فيه بحريتها إنما هى أرض الأجداد.. ولليهود حقوق تاريخية ودولة اعترف بها العالم كله(١).

٥ ـ فى أثناء الحرب العالمية الثانية كانت الصهيونية قد عزمت على إنشاء الدولة اليهودية فى فلسطين فأخذت تعد فرقها المسلحة تحت ستار التطوع فى جيوش الحلفاء، واستعداداً لذلك اليوم الذى يتمكنون فيه من انتزاع فلسطين وإقامة دولتهم عليها، والواقع أن الصهيونية تحسن اختيار حلفائها المرحليين ففى البداية ركزت على بريطانيا كحليف أساسى حتى تم لها ما أرادت بإعلان وعد بلفور وتهيئة الواقع الفلسطينى طوال العشرينيات والثلاثينيات لإقامة الكيان الصهيونى فوقه.

أما أثناء الحرب العالمية الثانية فقد ركز اليهود نشاطهم فى الدوائر السياسية الأمريكية من أجل مساعدتهم فى إعلان قيام هذا الكيان بإنشاء دولتهم فى فلسطين، وقد تم لهم ذلك سنة ١٩٤٨ .

وقد انتهزت بريطانيا فرصة اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بالمسألة الفلسطينية وسعت لإشراكها فى حل القضية، فقررت تشكيل لجنة تحقيق أمريكية بريطانية لبحث المسألة الفلسطينية، وقد بدأت اللجنة نشاطها فى مارس ١٩٤٦، وقامت صحيفة الشمس بنشر نصوص الكلمات التى أدلى بها الزعماء الصهيونيون أمام اللجنة.

كما هاجمت الصحيفة موقف حكومة الانتداب وإصرار الأعضاء الإنجليز فى اللجنة على اقتصار مهمتها على سماع بيانات الحكومة والأخذ بها لأنها ليست طرفاً فى النزاع ثم التجول فى البلاد للحصول على فكرة عامة عن المسألة برمتها وهنا تحتج الصحيفة وتطالب الأعضاء الآخرين

(١) الشمس ١٩٤٠/٥/٣ .

فى اللجنة بضرورة رفض معاملتهم كسياح وضرورة التعمق فى دراسة المسألة «لأنهم لن يكونوا أهلاً للقيام بمهمتهم الدقيقة، إذا اقتصرت مهمتهم على المظاهر دون التغلغل فى فهم المسألة الفلسطينية على حقيقتها»[١].

وقد انتهت مهمة اللجنة البريطانية الأمريكية إلى الفشل مثل سابقاتها ممَّا دفع الحكومة البريطانية إلى عقد مؤتمر فى لندن «١٩٤٦ ـ ١٩٤٧» يضم العرب واليهود، وانتهى باستحالة التوصل إلى اتفاق فأعلنت الحكومة البريطانية يأسها من المشكلة الفلسطينية وقدمتها إلى الأمم المتحدة للفصل فيها.

ونلاحظ أن صحيفة الشمس وهى الصحيفة الصهيونية الوحيدة التى كانت لا تزال تقوم بدورها الدعائى النشط فى الساحة المصرية، قد واصلت مخططها المرسوم فى الهجوم على السياسة البريطانية والتشكيك فى جميع الخطوات والاقتراحات واللجان التى قدمتها الحكومة البريطانية فى تلك الفترة كمسكنات للأوضاع أو كمحاولات لحل المسألة الفلسطينية.

فنرى صحيفة الشمس وهى تشكك فى مؤتمر لندن وترى أنه خدعة أريد بها إضاعة الوقت إلى أن تنتهى بريطانيا من تنفيذ مخططها الذى يرمى إلى إقامة المعسكرات والثكنات والقلاع فى فلسطين، حتى إذا ما فشلت المفاوضات تحصل بريطانيا على مبرر لوجودها فى فلسطين وبالتالى تتحول فلسطين إلى حصن بريطانى[٢].

كذلك علقت صحيفة الشمس على لجوء بريطانيا إلى الأمم المتحدة لحل المسألة الفلسطينية بأنه خدعة جديدة، وأن الحل الوحيد للمسألة الفلسطينية هو خروج الإنجليز منها لأنهم مصدر الداء وأس البلاء، وهذا

(١) الشمس ١٩٤٧/٧/٤ .

(٢) الشمس ١٩٤٧/٢/٢١، ١٩٤٧/٢/٢٤ .

آمل بعيد لأن الاستعمار ما زال المثل الأعلى لبريطانيا[1].

وتشير الصحيفة إلى أن دور الأمم المتحدة فى صون السلام فى ذلك القطر الصغير الفقير يحتم عليها إبعاء الإنجليز عنه لأنهم أعوان الشيطان فى خلق الشقاق والخلافات بين الجماعات[2].

ولا يخفى على الباحث مغزى الحملة الصهيونية ضد السياسة البريطانية فى فلسطين، فهى حملة واقعها التظاهر بأن العدو المشترك للعرب واليهود هو الاستعمار البريطانى ولولا أساليبه فى تأجيج الصراع العنصرى والدينى بين العرب واليهود لما تدهورت الأمور بينهما إلى هذا الحد بل كان من الممكن بناء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين فى ظل مناخ متفهم ومتعاون من جانب العرب وقد ساعد على ظهور هذا التيار فى تلك المرحلة، أن الحركة الوطنية الفلسطينية قد اتجهت أساساً إلى محاربة الاحتلال البريطانى باعتباره العدو الأساسى واعتبرت الصهيونية عدواً ثانوياً لأنها الفرع وليست الأصل، وقد حاولت الحركة الوطنية فى فلسطين أن تتحالف فى تلك المرحلة مع اليهود والحركة الصهيونية ضد الإنجليز، وقد أجرى العرب بعض الاتصالات مع اليهود مقترحين التوصل معهم إلى نوع من الاتفاق على أساس قطع العلاقات مع بريطانيا قطعاً تاماً، ولكن اليهود رفضوا ذلك على الفور لأنهم يعتبرون علاقتهم ببريطانيا مسألة جوهرية، ليس هذا فحسب بل قرروا أن يشكلوا وحدات مسلحة ويحاربوا إلى جانب البريطانيين إذا ما تجددت الثورة وما كان هذا التحالف ممكناً لأن النجاح المستند على الإنجليز هو جناح جابوتنسكى المتطرف والأكثر صهيونية وبالتالى الأكثر عداء للعرب، أما الجناح الصهيونى الآخر فقد كان يعتبر أن استمرار الاحتلال البريطانى حتى يبلغ

(١) الشمس ٢٨ /١٩٤٧/٥ .

(٢) الشمس ١٩٤٧/٥/٢٩ .

اليهود نسبة معينة من السكان قضية أساسية ولذلك فإن استراتيجيتهم كانت تختلف عن استراتيجية العرب الذين كانوا يريدون الاستقلال سريعاً للحيلولة دون زيادة عدد الصهيونيين ودون التوسع فى الاستيطان اليهودى، ثم إن العرب كانوا يعتبرون أن بقاء الانتداب هو العقبة الرئيسية فى سبيل تحررهم، بينما كان الصهيونيون يعتبرون أن بقاء الانتداب هو السبيل الوحيد إلى بناء دولتهم وهكذا كانت الأهداف متناقضة وفى هذا التفسير يمكننا أن نفهم الدوافع التى كانت تحرك حملات الهجوم الصهيونية ضد الانتداب البريطانى.

فالواقع أنها كانت للمزايدة والتغطية والتمويه أكثر منها محاولات حقيقية للهجوم كما كانت هذه الحملات مدفوعة برغبة التعجيل ببناء الوطن القومى اليهودى، فهو إذن كان هجوماً من موقع التحالف مع بريطانيا وليس من موقع التناقض معها. وإذا كانت هناك تناقضات فهى تناقضات ثانوية.

ونلاحظ هذا بوضوح فى موقف الصحف الصهيونية فى مصر إزاء الحكومة البريطانية ففى الوقت الذى تهاجم فيه الموقف البريطانى وتتهمه بالتلكؤ وعدم الحرص على التعجيل بإنشاء الوطن القومى وحاولة التظاهر بأن الوطن القومى سوف ينفذ سواء استمرت بريطانيا فى الانتداب أم تخلت عنه فى هذا الوقت تعود الصحف الصهيونية إلى الاستدراك سريعا مؤكدة أن بريطانيا «أعقل من أن تتخلى عن الانتداب وتترك البلاد غنيمة باردة لمن يطمع فى الاستيلاء عليها بلا عناء وهى تعلم أن ميناء حيفا سيكون فى المستقبل أعظم ميناء بحرى فى الشرق الأدنى. ومثل هذا الميناء لا يسهل ـ تركه على سيدة البحار[1].

(١) الشمس ١٩٣٥/١٢/٣، ١٩٣٧/٨/٦ .

الاتفاق بين العرب واليهود

لقد اهتمت الصحف الصهيونية فى مصر بالإضافة إلى بعض الصحف المصرية مثل الاتحاد والسياسة والمقطم باترويج للدعوة إلى التفاهم بين العرب واليهود لتسوية ما بينهما من خلافات، وقد حاولت الصحف الصهيونية آن ترد الخلافات بين العرب واليهود إلى أسباب غير حقيقية ترجع معظمها إلى عوامل خارجية لا تتعلق بجوهر الصراع العربى الصهيونى فى فلسطين إلا بصور غير مباشرة، ومن آبرز الأسباب التى حاولت آن تلصق بها الصحف الصهيونية الخلاف العربى اليهودى.

أولاً: الدعايات التى حاولت أن تبثها بعض الهيئات الأجنبية والعربية ضد اليهود والحركة الصهيونية.

ثانياً: الحكومة البريطانية وسياستها فى فلسطين.

ثالثاً: موقف حكومة النازى من اليهود ويلاحظ أن هذه الأسباب التى ركزت عليها الصحف الصهيونية كانت تختلف باختلاف المراحل التاريخية لتأسيس الوطن القومى.

فالحكومة البريطانية ومسئوليتها فى غرس بذور الشقاق والصراع الدائم بين العرب واليهود كانت تلك الحجة هى النغمة السائدة فى الصحف الصهيونية خلال العشرينيات والثلاثينيات.

أما فيما يتعلق بالسبب الثالث وهو الدعاية النازية التى أدت إلى تسرب هذا الخلاف بين العرب واليهود لم نلحظ وجوده فى الصحف الصهيونية إلا فى نهاية الثلاثينيات وطوال فترة الحرب العالمية الثانية.

ومن اليسير تفسير ذلك وهو يرجع فى الواقع إلى موقف الرأى العام المصرى من بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية ومدى تعاطفه مع المحور وخصوصاً بعد أن حطم رومل الجيش الثامن البريطانى ووصل إلى العلمين وخرجت الجماهير المصرى تهتف إلى الأمام يا رومل اعتقاداً منهم أن هزيمة الإنجليز هى الطريق الوحيد لخلاص البلاد منهم.

هنا بدا القلق واضحاً على الحركة الصهيونية وممثليها فى مصر وعبرت الصحف الصهيونية عن ذلك وخصوصاً صحيفة الشمس التى أوضحت مخاطر الانزلاق فى هذا الوضع هو الاستجابة لدعاة النازية الذين يغررون بالشعوب أملاً فى استعبادهم بعد ذلك(١).

ولقد قامت الصحف الصهيونية فى مصر بحملة دعائية مكثفة لمقاومة استجابة الرأى العام المصرى إلى الدعاية النازية.

وحاولت تلك الصحف إبراز الجوهر العنصرى للسياسة النازية ضد اليهود والعرب معاً.

وقد أشارت صحيفة الشمس إلى ذلك فى عدة مقالات فندت فيها موقف هتلر من الشعوب العربية والاحتقار الذى يكنه لهذه الشعوب وخصوصاً الشعب المصرى.

كما أوضحت الصحيفة مدى التناقض بين الدعاية النازية وتعاليم الإسلام وتشهير هذه الدعاية بالأديان وسخريتها بالرسل والأنبياء. وقد دعت الشمس العرب إلى الاتحاد مع اليهود باعتبارهم ينتمون إلى الجنس السامى وذلك لمواجهة الدعاية النازية وتطهير الشرق من آثارها التخريبية(٢).

وسوف نتناول بالتفصيل أسباب الخلاف بين العرب واليهود كما

(١) صحيفة الشمس ١٩٣٦/١/٣٠ .

(٢) انظر الشمس ١٩٣٨/١١/٣، ١٩٣٤/١١/٩، ١٩٣٦/٢/٣٠، ١٩٣٤/٩/٢١ .

صورتها الصحف الصهيونية.

وفيما يتعلق بالسبب الأول الخاص بالعصابات الأحنبية والعربية المعادية لليهود وللصهيونية فقد ركزت الصحف الصهيونية على الدور الذى تقوم به الدعايات العربية فى تشويه صورة اليهود والصهيونية وأهدافها الحقيقية فى فلسطين «وبذلك يضعون ألغاماً فى طريق التفاهم بين الشعبين العربى واليهودى ويسممون العلاقات بينهما ويحولون دون التقائهما من أجل خدمة مصالحهما المشتركة فى فلسطين»[1].

وهنا تشترك معظم الصحف اليهودية فى الدفاع عن الصهيونية وإنجازاتها فى فلسطين ويؤكدون أن نجاح المشروعات الصهيونية لن يعود على اليهود فحسب بل لابد أنه سيشمل أيضاً العرب ويلقون باللوم الشديد على الصحف العربية التى تقوم بدور تخريبى سوف يتحمل مسئوليته جميع العرب فيما بعد[2].

أما الدعايات الأجنبية التى ارجعت إليها الصحف الصهيونية أسباب الشقاق بين العرب واليهود فهى تنحصر أساساً فى الدعاية الشيوعية فقد زعمت الصحف الصهيونية أن الدعاية الشيوعية كانت سبباً رئيسيّاً فى أحداث البراق ١٩٢٩ وأنه كان هناك ثمة تنسيق فى هذا الصدد بين موسكو واللجنة التنفيذية العربية فى فلسطين[3].

كما اتهمت صحيفة إسرائيل الحاج أمين الحسينى مفتى القدس بأنه شيوعى وأنه يخدم مصالح الاتحاد السوفيتى فى المنطقة - فى حين اتهمته صحيفة الشمس بأنه على علاقة بالنازيين فى ألمانيا - ولم تسلم الصحف

(١) إسرائيل ١٩٣٠/٥/٢٠، الشمس ١٩٣٥/٨/١٦ .

(٢) انظر إسرائيل ١٩٣٠/٤/١١، ١٩٣١/٧/١٧، ١٩٣٠/٥/٢٠، الشمس ١٩٣٨/١١/١٠، ١٩٤٤/٨/٤ .

(٣) إسرائيل ١٩٣٠/٤/١١ .

المصرية من الاتهامات التى وجهتها إليها الصحف الصهيونية زاعمة أنها تشجع على القلاقل والاضطرابات فى فلسطين بما تنشره من أباطيل وافتراءات وخصوصاً عندما وقعت أحداث البراق ١٩٢٩ أكدت معظم الصحف المصرية مثل البلاغ وكوكب الشرق والأهرام والسياسة أحقية العرب فى حائط المبكى وأن الحل العادل للنزاع هو إعطاء الحائط للعرب.

وهنا ثارت ثائرة الصحف الصهيونية وانبرت صحيفة إسرائيل ترد فى عصبية على الصحف المصرية متهمة إياهم بأنهم يعملون لتوسيع شقة الخلاف وتشجيع العرب على الثورة مما سيؤدى إلى رفع راية النصرانية وإضعاف المسلمين واليهود معاً[١].

أما السبب الثانى الذى ألقت عليه الصحف الصهيونية مسئولية الشقاق بين العرب واليهود فهو يرجع إلى السياسة البريطانية فى فلسطين.

وكانت الصحف الصهيونية تلقى دائماً على بريطانيا المسئولية فى تعميق الخلاف بين العرب واليهود فى فلسطين وادعت هذه الصحف أن الدكتور وايزمان قد اقترح مرة على الحكومة البريطانية أن تسمح له بالاجتماع بممثلى العرب حول مائدة مستديرة مؤكداً ثقته فى الوصول إلى التفاهم معاً على كل شىء ولكن الحكومة الإنجليزية حاربت هذا الاقتراح كما حاربت كل محاولة للتقرب بين العرب واليهود[٢].

وتؤكد صحيفة إسرائيل أن الموظفين البريطانيين فى فلسطين أوقفوا جهودهم على إيقاع الشقاق بين العرب واليهود وإيجاد نزاع مستمر فى البلاد لن تستفيد منه سوى بريطانيا فحسب[٣].

---

(١) إسرائيل ١٩٣٠/٧/٤ .

(٢) إسرائيل ١٩٣٠/٦/١٣، الشمس ١٩٣٥/٨/٨ .

(٣) إسرائيل ١٩٣٠/٥/٢٣ .

وتبدى الصحف الصهيونية أسفها وحزنها لأن العرب لم يفطنوا إلى هذه الحقيقة المحزنة ومضوا يحتجون على تعيين موظف يهودى أو دخول مهاجر يهودى تعس إلى البلاد على حين تغافلوا عن الواقع المؤلم وهى أن البلاد انقلبت إلى مستعمرة إنجليزية بينما هم يهللون بالصغائر[١].

وتؤكد هذه الصحف بأن هناك طوائف يهودية يزيد عددها على عدد يهود فلسطين يعيشون فى كثير من الدول العربية ولم يحدث أن ضج سكان هذه البلاد من معاملة اليهود لهم مما يؤكد أن السياسة البريطانية فى فلسطين هى التى خلقت الفجوة بين الأخوين وخلقت منهما خصمين[٢].

وقد أجمعت الصحف الصهيونية على أن الوسيلة الوحيدة لتحقيق التفاهم بين العرب واليهود هى أن يتم ذلك دون تدخل الإنجليز لأنهم أدرى بأنفسهم وبشئونهم من هذا الوسيط[٣].

وقد تعمدت الصحف الصهيونية أن تشن هجوماً على الاستعمار البريطانى زاعمة بأنه لولا أساليبه فى تأجيج الصراع العنصرى والدينى بين العرب واليهود ما تدهورت الأمور بينهما إلى هذا الحد بل كان من الممكن بناء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين فى ظل مناخ متفهم ومتعاون من جانب العرب.

وقد ساعد على ظهور هذا التيار فى تلك المرحلة (الثلاثينيات) أن الحركة الوطنية الفلسطينية قد اتجهت أساساً إلى محاربة الاحتلال البريطانى باعتباره العدو الأساسى واعتبرت الصهيونية عدواً ثانوياً لأنها الفرع وليست الأصل.

---

(١) أنظر إسرائيل ١٩٣٠/٧/١١، الشمس ١٩٣٤/١١/٢ .

(٢) إسرائيل ١٩٣٢/٧/٢٩ .

(٣) إسرائيل ١٩٣٠/٧/١١ .

وقد حالت الحركة الوطنية الفلسطينية أن تتعاطف فى هذه المرحلة مع اليهود والحركة الصهيونية ضد الإنجليز، وقد أجرى العرب اتصالات باليهود مقترحين التوصل معهم إلى نوع من الاتفاق على أساس قطع العلاقات مع بريطانيا قطعاً تامّاً).

ولكن اليهود رفضوا ذلك على الفور لأنهم كانوا يعتبرون علاقتهم ببريطانيا مسألة جوهرية ليس هذا فحسب بل قرروا أن يشكلوا وحدات مسلحة ويحاربون إلى جانب البريطانيين إذا ما تجددت الثورة.

وفيما يتعلق بالسبب الثالث الذى اعتبرته الصحف الصهيونية عاملاً رئيسياً فى توسيع شقة الخلاف بين العرب واليهود فهو يرجع إلى الدعاية النازية المعادية لليهود التى أرجعتها الصحف الصهيونية إلى الأطماع الألمانية فى الشرق وخصوصاً فى فلسطين ويضاف إلى ذلك فى نظر الصحف الصهيونية رغبة الحكومة النازية فى الانتقام من اليهود بسبب مقاطعتهم للبضائع الألمانية رداً على اضطهاد اليهود الألمان.

وقد أشاعت الصحف الصهيونية أن الألمان على صلة وثيقة بمفتى فلسطين وأنهم يزودونه بالسلاح عن طريق ميناء حيفا.

وقد وجهت صحيفة الشمس عدة تحذيرات للرأى العام المصرى. والحكومة المصرية لاتخاذ موقف حازم من الدعاية النازية التى تهدد البلاد بثورة عنصرية لن يسلم منها أحد. وقد جاءت هذه التحذيرات بعد وقوع عدة اعتداءات من جانب الحركات السياسية المتطرفة «مثل مصر الفتاة والإخوان المسلمون» ضد اليهود المصريين.

وهكذا لم تتوقف محاولات الصحف الصهيونية فى مصر عن إقناع الرأى العام العربى والمصرى بأن قضية الصراع بين العرب واليهود فى فلسطين ليس منشؤها الوطن القومى لليهود ولكنها ترجع فى الأصل إلى

الدعايات المغرضة التى يقوم بها أطراف خارجيون لهم مصلحة مباشرة فى إشعال الحقد والكراهية بين العرب وأبناء عمومتهم من اليهود.

وتواصل صحيفة الشمس الضرب على هذا الوتر مؤكدة بأن الوسيلة الوحيدة لإحباط تلك المحاولات المغرضة هى الاقتراب بين الشعبين والتعاهد على بناء الوطن المشترك وتحرص الصحيفة على تكرار ذكر الأسباب التى تدعو كلا من العرب واليهود للتعاون والتفاهم وفى مقدمتها القرابة الجنسية إذ أنهما ينتميان إلى جنس واحد وهو الجنس السامى - وتستشهد على صحة ذلك بأقوال بعض العلماء فى الأنثروبولوجى كما لم يفتها الاستناد إلى بعض الآيات القرانية[١].

وتوجه صحيفة إسرائيل عتابها إلى العرب والمصريين ذلك أنهم أساءوا فهم حقيقة الوطن القومى لليهود فى فلسطين[٢].

وتوضح الصحيفة الآثار النافعة التى ستترتب على تحقيق هذا الحلم وأنه سيكون وسيلة فعالة لإنهاض العرب واليهود معاً[٣].

وتدعو إسرائيل العرب إلى عدم الإنصات للافتراءات التى توجهها الدول الاستعمارية وتطلب منهم العودة إلى تاريخ الحضارة الإسلامية التى قامت فى المنطقة بفضل تعاون العرب مع اليهود.

■■■

(١) انظر الشمس ١٩٣٤/١٠/٢٦، ١٩٤٤/١٢/٢٩، ١٩٣٤/١١/١٢ .

(٢) إسرائيل ١٩٣٠/٧/١١ .

(٣) إسرائيل ١٩٢٧/١٠/١٧ .